الفكر النحوي لجولدزيهر في كتابه
«مذاهب التفسير الإسلامي»

الدكتـــور

مبروك عطية أحمد أبو زيد

مـدرس اللغـويات
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنـات بسـوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

الفكر الندوى لجولدزيهر فى كتابه
« مذاهب التفسير الاسلامى »

* * *

الحمد لله الرحمن ـ الذى علم القرآن ، وخلق الانسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان ، محمد ابن عبد الله أفصح من نطق بلسان ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى وحملة الفرقان ، ومن تبعهم الى يوم الدين باحسان .

وبعد ..

فان للعربية أسرارا لا يدركها الا ذوو القلوب السليمة ، والعقول النيرة ، فهى لغة الذكر الحكيم الذى أنزله الله بلسان عربى مبين ، وقد قال ـ عز من قائل : « **وما يذكر الا أولو الألباب** »(١) ، ولما نزل القرآن الكريم بلغة العرب أكرمهم ، وخلد ذكرهم ، وحدا بكل المؤمنين بالله ورسوله الى السير على دربهم ، والبحث فى جذور حياتهم ، لتفهم لغتهم ، فيهتدى هؤلاء المؤمنون الى فهم كلام ربهم . وقد تحدى الحق ـ تبارك وتعالى ـ فحول الفصحاء ، والعرب الخلص الأصلاء بكتابه المعجز ، فقال ـ وهو أصدق

---

(١) آل عمران : ٧ .

القائلين : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٢) .

وقال - سبحانه وتعالى - : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »(٣) .

ولم يستطع أرباب الضاد ، ومالكو زمامها أن يأتوا بمثله ، وصدق الله ، وقامت جهود العلماء فى عصر القوة بدراسة الكتاب ، وجاهد النابغون فى اثبات وجوه اعجازه ، ومحاولة الوقوف على أسرار نظمه وابداعه فكانت الرحلة العلمية ابتداء من الامام عبد القاهر الجرجانى ، والرمانى والباقلانى ، الى آخر بحث أو رسالة جامعية تمت الى موضوع الاعجاز بصلة أو سبب ، ولم تقل جهود النحاة عن جهود أبنائهم البلاغيين ابتداء بسيبويه الى شيخ العربية فى العصر الحديث فضيلة الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة ، والى ما شاء الله ، وهؤلاء وهؤلاء قد طوفوا بما أفاد الله عليهم من علم ومعرفة حول أسرار البيان القرآنى ، ألفاظه ، وأساليبه جمله وتراكيبه ، وفى النهاية نطق لسان حالهم قبل أن تسجل أقلامهم بقوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »(٤) .

---

(٢) الإسراء : ٨٨ .
(٣) البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .
(٤) النساء : ٨٢ .

والقرآن الكريم منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، ومنه متشابهات ، وقد بين الحق تعالى أن الراسخين فى العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا ، وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فقال سبحانه وتعالى : **« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربناء وما يذكر الا أولوا الألباب »(٥) .**

وبين يدى كتاب للمستشرق « جولدزيهر »(٦) عنوانه : « مذاهب التفسير الاسلامى » حاول فيه ذلك المؤلف النيل من كتاب الله — عز وجل — بالتصريح حينا ، وبالاشارة والتلميح حينا آخر ، وهذا أمر جد خطير ..

---

(٥) آل عمران :

(٦) مستشرق مجرى ، تعلم فى بودابست وبرلين ، ورحل الى سورية سنة ١٨٧٣ م ، وتعرف بالشيخ طاهر الجزائرى وصحبه مدة ، ثم انتقل الى فلسطين ، ومنها الى مصر ، حيث لازم بعض علماء الأزهر الشريف وقد تعرف بهم ، وعين أستاذا فى جامعة بودابست « عاصمة المجر » وفيها كانت وفاته ، وله مؤلفات باللغات الالمانية والانجليزية والفرنسية فى الإسلام ، والفقه الاسلامى ، والأدب العربى ، وقد ترجم بعضها الى العربية ، ولمدرسة اللغات الشرقية بباريس كتاب بالفرنسية فى مؤلفاته وآثاره وترجم هو نفسه كتاب الشيخ طاهر الجزائرى « توجيه النظر الى علم الأثر » الى الالمانية ، وكذا كتاب « المعمرين » للسجستانى ، وغيرهما ، كما نشر جولدزيهر بالعربية ديوان الحطيئة . وانظر الاعلام للزركلى ٨٤/١ ، ط. دار العلم للملايين — بيروت — السادسة سنة ١٩٨٤ .

فان قال قائل : وما الخطر فى ذلك وعداء المشرقين للكتاب معهود ، وما قالوه مردود ؟ قلت : ما هكذا يكون التعقيب فى كل حال ، والكتاب ليس محاولة لكيد ، أو نفخة من فم ، أو صرخة من صدر حسود ، فلنقرأ الكتاب أولا ، لنرى أن الرد عليه لا يكون بكلمة من وادى الانشاء ، أو عبارة من منبر الخطباء ، وسوف ترى أن الرجل - والحق يقال - قد بذل جهدا فى تأليفه غير عادى ، حيث تناول مذاهب التفسير من أول عهد الناس بالتفسير الى آخر ما كتبه الامام محمد عبده ، وتلميذه رشيد رضا ، بتركيز شديد ، وبيان واع مجاله حشد عظيم من أعلام الأئمة فى مختلف العصور ، متعرضا لقضايا الفكر الاسلامى وأثره فى تفسير القرآن الكريم ، ولو أن قارئا من غير المتخصصين قرأ هذا الكتاب لأوقعه المؤلف فى حيرة واضطراب ، اذ انه لن يقرأ مجرد شتم أو سباب ، اذن لهان الأمر ، وما عزه فى الخطاب ، ولكنه سيقرأ ما يشبه التحقيق ، فيقف على ما ظاهره التناقض ، وأنى له بسبل التحرى والتخريج !

وما يعنينى - فى هذا البحث - أن أناقش ذلك المستشرق فى القضايا النحوية التى تعرض لها فى كتابه ، والتى براها على حد تعبيره « مشاكل » حاول القدماء أن يعالجوها ، فنالهم من مخالفيهم أذى كثير ، وتلكم القضايا فى المباحث الآتية :

(١)

المطابقة بين القراءات وقواعد النحو

* * *

المعروف أن القراءات المتعددة للقرآن الكريم روايات ، منها المتواترة الصحيحة ، ومنها الشاذة ، والمراد بالشذوذ التفرد ، حيث لم يبلغ رواتها مبلغ التواتر ؛ ويأخذ الناس بالقراءة الشاذة متى توافرت فيها شروط ، سيأتى ذكرها فى هذا البحث ، وهناك قراءات شاذة مهملة ، لا يؤخذ بها ، وهى ما خالطت تلك الشروط ، وأخرى أعلى درجة فى الشذوذ ، وهى مستبعدة أيضا ، وما كان هذا الاستبعاد الا حرصا من الأمة على كلام الله — عز وجل — الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والاجماع على أن القراءات المتواترة السبعية قرآن ، واختلاف هذه القراءات السبعية اعجاز ، حيث تتعدد مناحى الافادة والتوجيه ، وتتوافر الاشارات اللغوية الفياضة فى الآية الواحدة ، فضلا عن كونها مناط تسهيل ، وموضع تيسير من الحق — جل وعلا — حتى يقرأ الناس ما تيسر لهم من هذه القراءات دون حرج أو ضيق كما أن الثابت أن القراءة لا مجال فيها للهوى والبداء ، فأمرها موقوف على السماع من المصدر الأصلى — عليه الصلاة والسلام — والعلماء يخرجون تلك القراءات بمعنى يبينون وجه العربية الذى جاءت عليه هذه القراءة أو تلك القراءة ، وهم فى كل حال

يجمعون على أن القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع اللغوى ، فتقاس عليه اللغة لكنه لا يخضع لقواعد اللغة ، وانما تخضع له اللغة فيعلو شأنها ، وترقى فصاحتها ، لكن جولدزيهر يرى أن بعض القراء حاول مطابقة القراءة لقواعد النحو وهو بذلك يوهم قارئه بأن القراءة تأتى مخالفة قواعد العربية ، ويحاول بعض القراء اصلاح تلك المخالفة ، يقول :

« ما جاء فى الآية (٩) من سورة الحجرات : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » حيث يعود ضمير جمع المذكر « اقتتلوا » على مثنى المؤنث « طائفتان » فقد أراد بعض القراء مطابقة قواعد النحو ، فقرأ أحدهم « ابن أبى عبلة »(٧) : اقتتلتا ، واكتفى آخر بقراءة : اقتتلا »(٨) .

والقارىء الذى لا علم له بهذا الفن يقف أمام أمرين :

الأول : أن فى القراءة المتواترة عن رسول الله ـ ﷺ ـ مخالفة لقواعد النحو ، حيث عاد ضمير جمع المذكر ، وهو الواو فى « اقتتلوا » على المثنى المؤنث « طائفتان » .

---

(٧) أحد ائمة القراءات ، وهو عالم ثقة ، اخذ القراءات عن أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى ، وقال عنها ـ رحمهما الله ـ : « قرأت القرآن عليها سبع مرات » وكانت وفاته سنة ١٥٣ هـ ، وانظر فى ترجمته غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) ١/١٩ ، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

(٨) مذاهب التفسير الاسلامى ص٦٦ ، بترجمة عبد الحليم النجار .

والثانى : أن بعض القراء قد وكل اليه أمر تصويب النص المقدس ، فقرأ بما يوافق الوجه العربى الصحيح كابن أبى عبلة وغيره ، وهذا يستفاد من قوله : « قرأ أحدهم (ابن أبى عبلة) بعد قوله : « فقد أراد بعض القراء مطابقة قواعد النحو » .

والحقيقة التى غفل عنها هذا المستشرق أن القراءة القرآنية لا مجال فيها للهوى والاختيار ، والمقرر أن القراءات القرآنية متواترة وشاذة ، وللمتواترة عند أهل العلم سمات تميزها ثلاث :

١ — موافقة خط المصحف .

٢ — وموافقة قواعد العربية .

٣ — وثبوت تواترها عن رسول الله — ﷺ — .

والقطع بأنها منزلة من عند الله واجب(٩) .

وأما الشاذة فكل ما صح نقله عن الآحاد ، وصح وجهه فى العربية ، وخالف لفظه خط المصحف ، وهو مقبول ، واختلف الأئمة فى جوازه فى الصلاة على رأيين القبول والرفض ، ومن القراءات الشاذة مالا يقبل ، وهو ما نقله غير ذى ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له فى العربية ، يقول ابن الجزرى : « والقسم الثالث هو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ،

---

(٩) وانظر النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١٣/١ ، ط. دار الفكر .

ولا وجه له فى العربية ، فهذا لا يقبل وان وافق خط المصحف »(١٠) .

ونعود الى ما ذكره المستشرق من التوفيق بين القراءات والنحو ، فنقول :

ان عود ضمير الجمع على المثنى ليس مما يدركه أمثاله ؛ وهو باب فى العربية واسع ، وهو حمل على المعنى ؛ ألا ترى أن الطائفة وان كانت مفردة فى اللفظ جمع باعتبار معناها ، وهل معناها سوى جماعة من الناس ! ، فما الغرابة فى أن يأتى النظم الكريم باقتتلوا والمراد تلك الجماعات التى ربما لا يعلم عددها الا الله الحفيظ العليم ، يقول جار الله الزمخشرى : « فان قلت : ما وجه قوله : اقتتلوا والقياس : اقتتلتا كما قرأ ابن أبى عبلة ، أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير(١١) على تأويل الرهطين أو النفرين ؟ قلت : هو مما حمل على المعنى دون اللفظ ، لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس »(١٢) .

وقد اجتمع الحمل على المعنى ، والحمل على اللفظ معا فى هذه الآية ، ففى قوله تعالى : « اقتتلوا » حمل على المعنى ـ كما ذكرنا ـ وفى قوله ـ عز وجل ـ : « بينهما »

---

(١٠) المرجع السابق ١٤/١ .

(١١) عبيد بن عمير بن قتادة ابو عاصم الليثى توفى سنة ٧٤ هـ وانظر غاية النهاية فى طبقات القراء ٤٩٧/١ .

(١٢) الكشاف ٥٦٣/٣ ، ط. الحلبى .

حمل على اللفظ ، يقول ابن المنير : « وفى هذه الآية حمل على المعنى بقوله « اقتتلوا » ثم على اللفظ بقوله : « بينهما »(١٣)•

وباب الحمل على المعنى ـ كما أشرت ـ غور من العربية ضارب فى الأعماق وهو اتجاه لغوى فصيح ، ألا ترى الى قوله تعالى : « **فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى** »(١٤) فعلى مذهب العرب ومن فهم لغتهم : ذكر المؤنث مراعيا النظم على المعنى ، وفيه لطيفة ، حيث انه جاء به مذكرا لتذكير خبره « ربى » وكأنه بهذه القضية اللغوية ، التى ربما يمر عليها الدارسون مرورا سريعا ـ يلفت النظم الكريم أنظارنا الى القضية الأم ، وهى قضية الاستدلال على وجود الاله الواحد الأحد ، الذى لا يغيب وجوده ، ولا يأفل نوره ، فالشمس المؤنثة لا يعنينا تأنيثها وانما هى شىء بازغ كبير ، يراه خليل الله ابراهيم ، فيقول : « هذا ربى » وتلوح أمام عينيه أمارات الوصول الى الحقيقة ، لكنها تصبح سرابا ووهما حين تغيب الشمس ، ويطوى نورها من الوجود أمام ناظريه ، فيهتف قلبه قائلا : « يا قومى ، انى برىء مما تشركون » •

ومن ذلك قوله ـ عز وجل ـ : « **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** »(١٥) وذلك لأن الموعظة والوعظ

---

(١٣) حاشيته على الكشاف ٣/٥٦٣ بجانب الكشاف .
(١٤) الأنعام : ٧٨ •
(١٥) البقرة : ٢٧٥ .

واحـد ، ومنـه ما قيـل فى قـوله تعـالى : **« ان رحمة الله قريب من المحسنين »(١٦)** على أن المـراد بالرحمـة هنـا المطـر ، يقول الزمخشرى : « وانمـا ذكـر « قـريب » على تأويل الرحمة بالرحم ، أو الترحـم ، أو لأنـه صـفة موصوف محـذوف ، أى : شىء قريب ، او تشبهه بفعيـل الذى هـو بمعنى « مفعـول »(١٧) .

ومن المؤكـد أن مثـل هـذا المستشرق لـم يطالع عبارة أمـام النحـاة سيبويه من نحـو قـوله : « وسمعنا من العـرب من يقـول ممن يوثق بـه : اجتمعت أهـل اليمـامة ، لأنـه يقـول فى كـلامه : اجتمعت اليمـامة ، يعنى : أهـل اليمـامة ، فأنث الفعـل فى اللفظ ، اذ جعـله فى اللفظ لليمـامة ، فترك اللفظ يكـون على ما يكون عليـه فى سـعة الكـلام ، ومثـله فى هـذا : يا طلحـة (بفتح التـاء) أقبـل ، لأن أكثـر ما يدعـو طلحـة بالترخيـم »(١٨) .

فمن لـم يعـرف ما يترتب على التركيب الاضافى من أحكام ، وما ورد عليـه من سـنن العربية قـال ما قـال ، وأفتى بمـا شاء والحمـل على المعنى كمـا هـو واضح لا سبيل اليـه من جـانب صاحب هـذا الكتاب الذى عـد التوسع اللغـوى خطـأ ، وتعـدد الروافـد الأصيلة من القراءات القرآنية محـاولة لتصحيح أسـلوب نـزل بـه الروح الأمين ولـو أنـه على علم باللغـة لقـال : هـذه قـراءة سبعية ، وتوجيهها : أنـه حمل على المعنى ، وقرىء « اقتتلا » و « اقتتلتـا » بالحمـل على اللفـظ .

---

(١٦) الأعـراف : ٥٦ .
(١٧) الكشاف ٢/٨٣ .
(١٨) الكتـاب ١/٥٣ بتحقيق هـارون .

(٢)

أنحـــراف التركيـب
فى انحـراف عقـله

* * *

ويصـف جولدزيهـر بعض الأساليب القرآنية بانحراف التركيب، وعـدم الانسجام ونقـل عن أحـد علمـاء اللغـة وهـو المبـرد عبـارة فهـم منهـا أنـه ـ رحمـه الله ـ غـير راض عن هـذا الأسلوب ، وأن الأمـر لـو كـان بيـده لقـام بتصحيحه ، فضـلا عن رفضـه وعـدم قبـوله لـه ، جـاء ذلك فى حديثه عن قـول ربنـا ـ جـل وعـلا ـ : « **ليس البـر آن تولـوا وجوهكم قبـل المشرق والمغـرب ولكن البـر من آمـن بالله واليوم الآخـر** »(١٩) ، فقـد وصـف قوله تعالى : « ولكن البـر من آمـن » بمـا ذكـرنا صراحة لا اشـارة ، واتهـاما لا تعريضا ، وبكى المستشرق حـزنا على المبـرد الذى سـبقه الى هـذه الفلتـة حيث لاقى هجوما من أهـل السـنة وسـوء معاملة استمرا قرونا طويلة ، ونص جولدزيهر : « وفى أزمنـة متأخرة اشـتد النكير على استعمال التصحيح النحوى ، فقـد لقى مثـلا العـالم اللغـوى الشهير : المبـرد معـاملة غـير رقيقـة حينمـا صـرح على استحياء عن رأى لـه فى تسوية انحراف فى التركيب ، ذلك أنـه ورد فى الآيـة (١٧٧) من سـورة البقـرة ، وهى موضـع من المواضع القرآنية التى ذهبـت مثـلا فى الخـلق

---

(١٩) البقـرة : ١٧٧ .

الاسلامى ، وفيها جرى عن تحويل القبلة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ... » ، وفى « ولكن البر من آمن » عدم انسجام بلا ريب ، يمكن اخضاعه حقا بوساطة الذكاء العقلى لنير مطالب التركيب النحوى ، ولكنه فى ذوق المبرد بعيد أن يرد فى كلام الله ، وقد وجد اللغوى المشهور أيضا الشجاعة التى جعلته يقول : « لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت : ولكن البر بفتح الباء » من أجل ذلك كان عليه أن يتحمل سخط أهل السنة عليه قرونا طويلة بعد وفاته ، اذ كانوا يرون فى القراءة المتلقاة بالقبول « ليس البر » بكسر الياء تحقيقا للاعجاز البلاغى فى كلام الله »(٢٠) .

وهذا النص يحمل فى تضاعيفه مزجا للسم بالعسل ، فالمستشرق يشير الى الخلق الاسلامى الذى ذهبت هذه الآية مثلا له ، وسيجد كل قارىء أن هذا حق ، وكلام صدق ، فالعبرة ليست بمكان القبلة ، فلله المشرق والمغرب ، وأينما تولوا فثم وجه الله ، ولكن العبرة بالايمان بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، وايتاء الأموال والوفاء بالعهد ، والصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ، فمن ذا الذى يعترض على تلك الاشارة التى رمى بها المستشرق فى طريق الوصول الى هدفه ، وهو بيان أن هذا التركيب غير منسجم ، ولكى يبعد بنفسه عن دائرة العداء الخارجى اتهم المبرد

---

(٢٠) مذاهب التفسير الإسلامى ص٦٦ ، ٦٧ .

بما تتهمه به ان وجدنا من يتهمه ويحقق كلامه من باب « وشهد شاهد من أهلها » ثم يوهم القارىء بأن المبرد ذو ذوق لغوى ، فطن الى أن هذا التركيب ليس من القرآن وهو معنى قوله : « ولكنه فى ذوق المبرد بعيد أن يرد فى كلام الله » .

ويريد أن يعلمنا أنه من وضع القراء ، وأن المبرد لو كان ممن يقرأ القرآن لقرأ : « ولكن البر » بفتح الباء ، وأغلب الظن عندى أنه يريد أن يقول : لو كنت من الذين سبقوا ، ونلت جانبا من خطهم ، حيث قرأت القرآن فى زمان الاختراع والتأليف والانتحال لقرأت الآية هكذا ، وخلصت كتاب الله من لوم اللائمين ، وذوق المحققين ، الذين سيكتشفون أن فيه عدم انسجام ، وليؤكد هذا الهراء الفارغ قال : « من أجل ذلك كان عليه أن يتحمل سخط أهل السنة عليه قرونا طويلة بعد وفاته ، اذ كانوا يرون فى القراءة المتلقاة بالقبول « ليس البر » بكسر الباء تحقيقا للاعجاز البلاغى فى كلام الله » .

وما يسميه المستشرق انحرافا وعدم انسجام انما هو غاية الاتفاق والوئام وورود مثله كثير ، ومنه قوله ــ عز وجل ــ : **« واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها »(٢١)** أى : واسأل أهل القرية ، وأهل العير ، وانظر الى قوله

---

(٢١) يوسف : ٨٢ .

ويجوز أن تكون نعتتها بالمصدر ، لكثرته منها ، ويجوز أن يكون أرادت : ذات اقبال وادبار ، فحذفت المضاف ، وأقامت المضاف اليه مقامه ، كما قال - عز وجل - : « **ولكن البر من آمن بالله** »(٣٥) وجائز أن يكون : لكن ذا البر من آمن بالله ، والمعنى يؤول الى شيء واحد »(٣٦) .

وأما نصه فى المقتضب فهو قوله : « وتقول : ما أنت

=

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هى اقبال وادبار

يوما باجود مبنى حين فارقنى
صخر وللدهر احلاء وامرار

والعجول من الابل التى فقدت ولدها ، والبو هنا الولد ، سميت بذلك لعجلتها فى جيئتها وذهابها ، والشاعرة هنا تصور حالتها النفسية حين فقدت اخاها صخرا ، فترينها بالكلمات التى تشبه الالوان والحركات ، أنها مثل ناقة فقدت ولدها ، فهى تصرخ حينا معلنة مافى جوفها من الم الفراق ، وتكتم الصراخ حينا ، ليستحيل داخلها الما يستقر بين الضلوع ، ويسكن القلب ، ويسرى فى الدماء ، فترتع ما ترتع ، فاذا فاضت عليها الذكريات ، وهاجت عليها الاحداث نهضت وقامت فتراها مقبلة مدبرة ، فهى ذات اقبال وادبار ، تجرى وراء المجهول ، وتبحث عن المفقود الذى لا يعود ، دون جدى ، وهذه العجول برغم ماهى فيه ، ومع ما تعانيه لا تبلغ مبلغ الخنساء فى حزنها على فراق اخيها ، وتلك طبيعة الأيام ، وهذه سنة الدهر ، وللدهر حلاوة ومرارة ، وفيه لقاء ووداع ، حياة وموت .

(٣٥) البقرة : ١٧٧ .

(٣٦) الكامل مع رغبة الآمل للمرصفى ٣/١٥٢ ، ١٥٣ ، ط. النهضة الاولى سنة ١٩٢٨ م .

الا سيرا ، وما أنت الا ضربا ، وكذلك : زيد سيرا ، وزيد أبدا قياما ، وانما جاز الاضمار لأن المخاطب يعلم أن هذا لا يكون الا بالفعل ، وأن المصدر انما يدل على فعله ، فكأنك قلت : زيد يسير سيرا ، وما أنت الا تقوم قياما ، وان شئت قلت : زيد سير يا فتى ، فهذا يجوز على وجهين :

أحدهما : أن يكون زيد صاحب سير ، فأقمت المضاف اليه مقام المضاف لما يدل عليه ، كما قال الله — عز وجل — : « **واسأل القرية التى كنا فيها** »(٣٧) انما هو أهل القرية ، كما قال الشاعر :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هى اقبال وادبار

أى ذات اقبال وادبار ، ويكون على أنه جعلها الاقبال والادبار ، لكثرة ذلك منها ، وكذلك قوله — عز وجل — : « ولكن البر من امن بالله » الوجه : ولكن البر بر من آمن بالله »(٣٨) ، هذا ما قاله المبرد فى كتابيه ، وهو التحقيق ، الذى يثبت أن الرجل يقيس على التركيب القرآنى ما يجوز فى اللسان العربى .

فأما ما نسب اليه فقد نقله المستشرق بين كشاف الزمخشرى ،

---

(٣٧) يوسف : ٨٢ .

(٣٨) المقتضب ٣/٢٣٠ ، ٢٣١ بتحقيق شيخنا محمد عبد الخالق عضيمة ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ونص الزمخشرى فيه : « ولكن البر من آمن بالله : على تأويل حذف المضاف ، أى بر من آمن ، أو بتأول البر بمعنى ذى البر ، أو كما قالت :

.. ..

غانما هى اقبال وادبار

وعن المبرد : لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت : ولكن ابر بفتح الباء »(٣٩) ، وانى لأعتقد أنها فرية ألحقها به بعض الرواة ، فنقلها جار الله الزمخشرى وتناقلها عنه مثل ذلك المستشرق ، وكل أولئك لم يحققوا ، بيد أنى أحمد الله تعالى حيث جاءت هذه العبارة حاملة معنى يبرىء المبرد من تهمة التجرؤ على كتاب الله الذى أحكمت آياته ، أو أن يصف تركيبا قرآنيا بعدم الانسجام ونحوه من تلكم السقطات التى ذكرها المستشرق ، فهو يقول : لو كنت ممن يقرأ القرآن ، وهو ليس من أصحاب القراءات ، فدل ذلك على أنه لا يجوز له أن يقرأ حسب الوجه الذى يرجح ، وفيها اشارة الى أن القراءات القرآنية لا تكون عن هوى .

ومن يقرأ الترجمة العلمية المركزة ، التى أعدها الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ـ رحمه الله تعالى ـ يتبين له افتراء هذا المستشرق عليه ، فقد زعم أنه نال بسبب تلك العبارة سخط أهل السنة وأذاهم قرونا طويلة وذلك

---

(٣٩) الكشاف ١/٣٣٠ .

لم يثبت ، ألا ترى الى قول الشيخ عضيمة : « ومسلك المبرد فى الفتنة بين سيدنا على ، ومعاوية يشعر بأنه كان يؤثر الاعتدال والقصد ، فلم يضمن كتابه شيئا فى ذم على أو معاوية ، وانما كان يمسك عن ذلك عندما يصل اليه »(٤٠) .

والى قوله : « واطالة المبرد فى أخبار الخوارج لم يكن دبعثها الميل اليهم وانما كان الغرض منها تسجيل طرف من أدبهم القوى »(٤١) .

وانظر الى قول السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) : « سمعت أبا بكر ابن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جوابا من المبرد فى معانى القرآن فيما ليس فيه قول المتقدم ، ولقد فاتنى منه علم كثير ، لقضاء زمام ثعلب »(٤٢) .

وأخيرا قوله : « انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمى والمازنى الى أبى العباس محمد بن يزيد الأزدى »(٤٣) .

رجل هذه ترجمته ، وتلك شهادة العلماء له ، ومنطق التاريخ فيه كيف يصف تركيبا قرآنيا بالانحراف ، وما انحرف التركيب ولا اختل شرف المبرد ، وانما انحرف عقل جولدزيهر فرآه منحرفا .

---

(٤٠) المقتضب ١/٤١ .
(٤١) المقتضب ١/٤٠ .
(٤٢) أخبار النحويين البصريين ص٧٧ ، ط. مصطفى الحلبى .
(٤٣) أخبار النحويين البصريين ص٧٢ .

(٣)

الفصل بين المصدر وفاعله المضاف اليه بالمفعول

* * *

ويعلم الناس أن المضاف والمضاف اليه فى حكم الكلمة الواحدة ، ولذا تحفظ أكثر النحاة على مسألة الفصل بين المتضايقين ، اذ الأصل عدمه ، لكن مادام أمر اللغة راجعا الى السماع فى المقام الأول ، وورد عن العرب الفصل بين المضاف والمضاف اليه فلا يمنع ذلك من قبوله ، والنظر فى وجاهته ، وعلة وجوده هكذا بالفصل ، ثم ان النحاة قد بينوا أن هناك مواضع للفصل فى السعة ، ومنها أن يكون المضاف مصدرا ، والمضاف اليه فاعله ، والفاصل اما مفعوله واما ظرفه ، والأول كما فى قراءة ابن عامر(٤٤) : « **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم** »(٤٥) برفع « قتل » على أنه نائب فاعل لـ « زين » بالبناء للمجهول ، ونصب « أولادهم » مفعولا به للمصدر المضاف « قتل » وفاعله « شركائهم » المجرور بالاضافة اليه ، والثانى كما فى قولهم : « ترك يوما نفسك وهواها سعى

---

(٤٤) هو عبد الله بن عامر بن يزيد ، أبو عمران الشامى ، أحد أعلام القراءة البارزين ، وهو أحد السبعة ، وقد ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، ولد — رحمه الله — فى البلقاء ، وانتقل الى دمشق ، وتوفى بها سنة ١١٨ هـ ، وانظر الاعتدال ٥١/٢ والأعلام ٩٥/٤ .

(٤٥) الأنعام : ١٣٧ .

لهـا فى رداهـا »(٤٦) وقـد تجـرأ بعض النـاس على قـراءة ابن عـامر ، ظنـا منهـم أنـه لحـن ، وغره أن رأى « شركايهم » فى بعض المصاحف بالياء ، وكـان عليـه أن يصحح ذلك ، وهـذا وهم منهـم كبـير ، لأن فيـه ما يفيد أن القـراءة يتسع فيهـا المجـال لاعمـال اللغـة وقوانينها ، أو الـرأى والهـوى وهـذا باطـل ، فهى متواترة عنـه ـ ﷺ ـ كمـا قرأهـا ، وكمـا قرأهـا عليـه جبريل ـ عليه السلام ـ وتعـدد وجـوه القراءات القرآنية من باب التيسـير فى الدين وتسهيل القـراءة ، ومن باب التوسع فى اللغـة ، وفسـح المجـال للقياس والتعبـير وفـق تشريع لغـوى سـليم .

وقـد تعـرض المستشرق لقـراءة ابن عـامر ، ووصفها بأنهـا تشـتت فى التركيب ، ولمـا كـان جـار اللـه الزمخشـرى من الذين خاضـوا فى تلك القـراءة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ـ ﷺ ـ ووقف عليهـا جولدزيهر ، انتصـر للزمخشرى ، وحـاول أن يثبت لقـارئه أن من علمـاء المسلمين من اعتـرض على تلك القـراءة ، وأخـذ يصـف الزمخشرى بأنـه صاحب ذوق لغـوى سليم ، وأنـه أدرك بهـذا الذوق أن مثـل هـذا الفصل لـو كـان فى الشـعر ـ وهـو محـل الضرورات ـ لكان قبيحـا فمـا بالـه فى النظـم المعجـز !

ونص جولدزيهر : « ولـم يسلم الزمخشرى الدقيق التفـكير (المتـوفى ٥٣٨ هـ ـ ١٠٤٣ م) من التخطئة اللاذعـة من ذلك الجانب نفسـه ، بسبب مثـل هـذه الافتراضات اللغـوية ، ففى الآيـة

---

(٤٦) وانظـر شرح الأشمونى مع حاشية الصـبان ٢/٢٧٦ .

(١٣٧) من سورة الأنعام : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » وهى آية وردت فى تركيبها الجملى قراءات كثيرة ، منها أيضا قراءة لابن عامر : « زين .... قتل أولادهم شركائهم » على الفصل بين المصدر وفاعله المضاف اليه بالمفعول ، ولكن هذا التشتيت فى التركيب لم يوافق الذوق النحوى الدقيق عند الزمخشرى ، الذى التزمنا الالمام بنشاطه فى نطاق تفسير القرآن فى فصل متأخر من هذا الكتاب ، وذلك حيث يقول : « والفصل بينهما بغير الظرف فشىء لو كان فى مكان الضرورات ، وهو الشعر لكان سمجا مردودا ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته »(٤٧) .

واذا وجهنا اللوم الى الزمخشرى فيما أثبته ، ونقله عنه ذلك المستشرق فقد كفاه ما لقيه من علماء اللغة المحققين ، ولو أن مستشرقنا على انصاف فى بحثه لنقل رد العلماء ما قاله الزمخشرى وغيره ، وناقش قوله وأقوالهم ، وانتهى الى ما يمليه عليه فكره السليم ، ونظره الثاقب فى قضايا العلم والعلماء فنص الزمخشرى فى الكشاف : « وأما قراءة ابن عامر ، قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ، ونصب الأولاد ، وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف فشىء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج :

---

(٤٧) مذاهب التفسير الإسلامى ص٦٧ .

.. ..

زج القلوص أبى مزاده(٤٨)

فكيف به فى الكلام المنثور ؟ فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه ، وجزالته ، والذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف « شركائهم » مكتوبا بالباء »(٤٩) .

ولم يغفل ابن المنير ما ذكره الزمخشرى ، فتعرض له فى حاشيته قائلا : « لقد ركب المصنف فى هذا الفصل متن عمياء ، وتاه فى تيهاء(٥٠) ، وأنا أبرأ الى الله ، وأبرىء حملة كتابه ، وحفظة كلامه مما رماهم به ، فانه تخيل أن القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا ، لا نقلا وسماعا ، فلذلك غلط ابن عامر فى قراءته هذه ، وأخذ يبين أن وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة فى (شركائهم) ، فاستدل بذلك على أنه مجرور وتعين عنده نصب « أولادهم » بالقياس ، اذ لا يضاف المصدر الى أمرين معا ، فقرأه منصوبا ، قال المصنف : وكانت له مندوحة عن نصبه الى جره بالاضافة ، وابدال الشركاء منه ، وكان ذلك أولى مما ارتكبه ، يعنى ابن

---

(٤٨) عجز بيت من الكامل ، وصدره :

فزججتها بمزجة .:.

والمزجة : رمح قصير ، وأبو مزاده كنية رجل ، والقلوص : الشابة من النوق . وانظر الكتاب ١/١٧٦ (تعليقات) والانصاف فى مسائل الخلاف ٢/٤٢٧ ، وفرائد القلائد للعينى ص٢٤٥ .

(٤٩) الكشاف ٢/٥٤ .

(٥٠) التيهاء : الأرض التى لا يهتدى فيها ، والمضلة الواسعة التى لا أعلام ولا جبال . وانظر لسان العرب (ت ى ه) .

عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه ، الذى يسمح فى الشعر فضلا عن النثر ، فضلا عن المعجز ، فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشرى أن ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه ، وكان الصواب خلافه ، والفصيح سواه ، ولم يعلم الزمخشرى أن هذه القراءة بنصب الأولاد ، والفصل بين المضاف والمضاف اليه بها يعلم ضرورة أن النبى - ﷺ - قرأها على جبريل ، كما أنزلها عليه كذلك ، ثم تلاها النبى - ﷺ - على عدد التواتر من الأئمة ، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرأون بها خلفا عن سلف الى أن انتهت الى ابن عامر ، فقرأها أيضا كما سمعها ، فهذا معتقد أهل الحق فى جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا عن أفصح من نطق بالضاد - ﷺ - فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر ، فان المنكر عليه انما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعا وضرورة ، ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأن ، أعنى علم القراءة ، وعلم الأصول ولا يعد من ذوى الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين ، وأنه على هذا العذر لفى عهدة خطرة ، وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ماليس متواترا ، فان هذا القائل لم يثبتها بغير النقل ، وغايته أنه ادعى أن نقلهما لا يشترط فيه التواتر ، وأما الزمخشرى فظن أنها نثبت بالرأى غير موقوفة على النقل ، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين ، وما حمله على هذا الخيال الا التعالى فى اعتقاد اضطراد الأقيسة النحوية ، فظنها قطعية ، حتى يرد

ما خالفها ، ثم اذا تنزل معه على اطراد القياس الذى ادعاه مضطردا ، فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه ، وذلك أن الفصل بين المضاف والمضاف اليه ، وان كان عسرا الا أن المصدر اذا أضيف الى معموله فهو مقدر بالفعل ، وبهذا التقدير حل ، وهو وان لم تكن اضافته غير محضة الا أنه شبه بما اضافته ليست محضة لذلك ، فالحاصل أن اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره ، وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر ، وبين المضاف اليه بالظرف ، فلا أقل من أن يتميز المصدر على غيره ، لما بيناه من انفكاكه فى التقدير ، وعدم توغله فى الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف اليه بما ليس أجنبيا عنه ، وكأنه بالتقدير فكه بالفعل ، ثم قدم المفعول على الفاعل ، وأضافه الى الفاعل ، وبقى المفعول مكانه حين انفك ، ويسهل ذلك أيضا تغاير حال المصدر ، اذ تارة يضاف الى الفاعل ، وتارة يضاف الى المفعول ، وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل ، لوقوعه فى غير مرتبته ، اذ ينوى به التأخير ، فكأنه لم يفصل ، كما جاز تقدم المضمر على الظاهر اذا حل فى غير رتبته ، لأن النية به التأخير ، وأنشد أبو عبيدة :

.. ..

فداسهم دوس الحصيد الدائس(٥١)

---

(٥١) من الرجز ، لعمرو بن كلثوم ، وصدره :
وحلق الماذى والقوانس

.. ..

=

وأنشد أيضا :

يفركن حب السنبل الكنافج
بالقاع فرك القطن المحالج(٥٢)

ففصل — كما ترى — بين المصدر ، وبين الفاعل والمفعول ، ومما يقوى عدم توغله فى الاضافة جواز العطف على موضع مخفوضة رفعا ونصبا ، فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد ، منظرة بشواهد من أقيسة العربية ، يجمع شمل القوانين النحوية لهذه

= والماذى : البيضاء من الدروع ، والقوانس : جمع « قونس » وهو أعلى البيضة من الحديد والشاهد فيه (دوس الحصيد الدائبو) حيث فصل بالحصيد وهو مفعول به بين المضاف « دوس » والمضاف اليه « الدائس » ، والدوس نصب على المصدر

(٥٢) الضمير فى « يفركن » للجراد ، والكنافج بضم الكاف المتلىء ، صفة السنبل ، والقاع المستوى من الأرض ، يقول العينى فى فرائد القلائد ص٢٤٣ : « والشاهد فى (فرك القطن المحالج) حيث فصل بين المضاف ، وهو فرك ، والمضاف اليه ، وهو (المحالج) بقوله : القطن وهو جمة محلج بكسر الميم ، وهو الآلة التى يحلج بها القطن » وقد مزج الشيخ على المنصورى بين هذا الشاهد والقاعدة بقوله :

والفصل ممنوع لجل البصرى
بين المضافين بغير الشعر

يفركن حب السنبل الكنافج
بالقاع فرك القطن المحالج

الفرائد الوفية بنحو ما لم تحوه الألفية ، مخطوط رقم ١٢٨ ، نحو بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج ، (٦٤ أ) وورقة (٦٤ ب) وقد شرعنا نحققه والله المستعان .

القراءة ، وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية ، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة ، وهذا القدر كاف أن شاء الله فى الجمع بينهما والله الموفق »(٥٣) .

فمثل هذا الذى ذكره ابن المنير كاف للرد على جار الله الزمخشرى ، ومن جرى على منواله ، والقضية كما قلت انما هى قضية علمية ، ومجال العلم فسيح ، يتسع لمناقشة الآراء ، وتحليل الأقوال ، واختيار الأرجح وبيان الراجح ، والتعليق على المرجوح ، وكون أحد الأئمة قد أخطأ ، فتوهم ما رآه صوابا ، وما رآه غيره خطا لا يقدح فى كتاب الله — عز وجل — ولا يغض من ابن عامر ، الذى قال عنه ابن مالك :

وحجتى قراءة ابن عامر
فكم لها من معاضد وناصر

وهو القائل فى خلاصته :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب
مفعولا أو ظرفا أجز ولم يعب

فصل يمين اوضطرارا وجدا
بأجنبى أو بنعت أو ندا

وهذه اشارة الى جواز الفصل فى السعة ، يقول أبو الحسن: « وتقدير البيت (الأول) أجز أن يفصل المضاف منصوبه حال

---

(٥٣) حاشية ابن المنير ٢/٥٣ ، ٥٤ بجانب الكشاف .

كونه مفعولا أو ظرفا ، والاشارة بذلك الى أن من الفصل بين المتضايفين ماهو جائز فى السعة خلافا للبصريين فى تخصيصهم ذلك بالشعر مطلقا »(٥٤) .

وليس وجود الخلاف بين العلماء مدخلا الى الذريعة ، وبث روح الفتنة ، وأى عالم فى الوجود يتسم بشيء من الانصاف يعلم أن خلاف العلماء ميدان النزهة العقلية ، وامتاع الأفكار الذهنية ، وتدريب على الرياضة التحصيلية التأملية ، ولسنا — كما يقول المنصفون — خاضعين لأى مذهب من المذاهب ، حتى نخرج كتاب الله عليه ، ونخضعه لأحكامه كما فعل بعض البصريين من المتقدمين ، يقول الشيخ عضيمة : « ثم تطاير شررها (تلك الحملة على القراء) الى بعض نحاة الكوفة ، فأسهم فيها ، فالفراء ينسب الوهم الى بعض القراء الذين تواترت قراءاتهم فى السبعة ، كما كان للكسائى مشاركة فى هذه الحملة »(٥٥) .

وقد رأيت أن التعصب للمذهب هو الدافع ، الذى دفع النحاة الأوائل الى هذه الحملة العنيفة التى يخشى منها الاثم والبغى ، وخير عبارة وقفت عليها تلوم مثل هؤلاء قول الشهاب الخفاجى : « والعجب ممن أثبت تلك القواعد برواية واحد عن جاهلى من العرب ، فاذا جاء الى النظم توقف فى الاثبات به »(٥٦) .

---

(٥٤) شرح الأشمونى ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٥٥) المقتضب ١/١١٩ .

(٥٦) عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ٤/١٢٨ .

فهل نعول على مثل هذا ؟ أم أننا مبصرون ، منتهون عن اتباع الهوى ؟!

وبقى أن أبين الهدف الذى رمى اليه المستشرق بقوله : ان فى هذه الآية تشتيتا فى التركيب ، وعضه باللواجذ على قول الزمخشرى : فهذا شىء لو كان فى محل الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا فضلا عن النثر ، فضلا عن النظم المعجز ، فانه يريد أن يقول : ان هذه الآية ليست من كتاب الله ، اذ انها فى الدرجة الثالثة بعد تكرار قوله « فضلا » فنحن أمام روافد ثلاثة :

- النظم المعجز (كتاب الله عز وجل) .

- النثر الفصيح ، لغة الفكر ، غير المقيد بوزن وقافية .

- الشعر ، ذلك الكلام الموزون المقفى ، محل الضرورات ، لما فيه من قيود الالتزام .

وأحكام العربية وقواعدها تتصل بتلك الروافد الثلاثة اتصالا يحكم به العلماء على قبولها ، واستحسانها ، ورفضها ، فما يقبل فى النظم المعجز ، يحسن فى النثر ويعلو فى الشعر ، اذ ان القرآن الكريم كما صرح بذلك المستشرق نفسه فى قمة المصادر التى يستقى منها المسلمون أساسيات دينهم ، وقواعد لغتهم ، وربما يقبل النثر حكما لم يأت مثله فى كتاب الله - عز وجل - وعندئذ يحكم على قبوله أورده نظائر من كلام العرب ، متى كثرت ، وتواترت ، وصح النقل ، وصلح من نقل

وبالمقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء »(٥٨) • يقول جولدزيهر : « فالقرآن يقدم المقياس المصحح للاستعمال العربى الصحيح لا العكس ، وهذا مبدأ أخذ به الزمخشرى نفسه بالنسبة الى القراءات المشهورة ، ودافع عنه بشدة »(٥٩) •

وأغلب الظن عندى أن هذا الرجل لم يفهم عبارة الزمخشرى ، وأنه هنا فى هذا الموضع لم يقف من عبارة جارالله فهما سوى قوله : « من وقوعه لحنا فى خط المصحف ، وفهم منها أن الزمخشرى يرى أن « المقيمين » لحن فى خط المصحف ، بينما صرح الزمخشرى ـ كما هو واضح من نصه الذى ذكرته آنفا ـ أن السابقين ما كانوا ليتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة ، أو خرقا لمن جاء بعدهم ، وتلك مصيبة يكون الزمخشرى قد وقع فى المحظور بسببها وتابعه المستشرق تحقيقا لهدفه ، ووصولا الى غايته ، وأما ما ذكره الزمخشرى من ظن بعض الناس أن ذلك لحن وقع فى المصحف ، فها هو ذا ابن كثير يقرر أنها هكذا « المقيمين » فى جميع المصاحف ، وأشار الى أن ابن جرير ذكر أنها فى مصحف ابن مسعود « والمقيمون »، لكن الصحيح قراءة الجميع بالنصب ، قال ـ رحمه الله ـ : « والمقيمين الصلاة » هكذا هو فى جميع مصاحف الأئمة وكذا هو فى مصحف أبى بن كعب ، وذكر ابن جرير أنها فى مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة ، قال : والصحيح قراءة الجمع ، ثم رد على من زعم أن ذلك من غلط الكتاب ، ثم ذكر اختلاف

---

(٥٩) مذاهب التفسير الإسلامى ص٦٨ ، ٦٩ •

الناس ، فقال بعضهم : هو منصوب على المدح كما جاء فى قوله : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » وهذا سائغ فى كلام العرب ، كما قال الشاعر :

لا يبعدن قومى الذين همو
أسد العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر(٦٠)

وقال آخرون : هو مخفوض عطفا على قوله « بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » يعنى : وبالمقيمين الصلاة ، الملائكة ، وهذا اختيار ابن جرير ، يعنى يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالملائكة »(٦١) .

---

(٦٠) لا يبعدن : لا يهلكن ، والعداة جمع عاد كقاض وقضاه ، والآفة : العلة والمرض ، والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة تجزر ، والمعترك : موضع ازدحام القوم فى الحرب ، والأزر جمع إزار ، وهو ما يستر النصف الأسفل من البدن ، والمعاقد جمع عقد ، حيث يعقد الازار ويثنى ، وطيب المعاقد كناية عن عفتهم ، وانهم لا يحلونها لفاحشة . وقد روى سيبويه البيت الثانى فى احد نصيه :

النازلون بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر

بالرفع ، وانظر الكتاب ٢٠٢/١ ، والخزانة ٣٠١/٢ ، والأمالى الشجرية ٣٤٤/١ ، وهمع الهوامع ١١٩/٢ .

(٦١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٤/١ ، ٥٨٥ ، ط. مكتبة جمهورية مصر والنهضة الإسلامية سنة ١٩٨٠ .

سبيل الفخر والتعظيم ، وسائر التعظيم والشتم ليس المراد منه التخصيص والتخليص من موصوف آخر ، وانما المراد المدح والذم »(٦٥) فهذا عينه الذى يريده الزمخشرى ، وان لم يفصل فيه قولا ، ولم يومىء اليه باشارة ، فما كان منه الا أنه اتهم سيبويه بأنه لم يدرك أسرار الباب ، ولم يسبر غوره ، وانما اكتفى بذكر أمثلة وشواهد .

(٥)

اجتماع البناء للفاعل والبناء للمفعول

* * *

ويصرح المستشرق بأن فى كتاب الله ـ عز وجل ـ تعارضا ، وذلك لورود قراءتين لآية من كتاب الله ، احداهما بالبناء للفاعل والثانية بالبناء للمفعول ، وظن بفكره القاصر أن ذلك يحدث تأويلين متعارضين الى أبعد مدى ، أما النص القرآنى فقوله تبارك وتعالى : « **غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** »(٦٦) وأما القراءتان فهما « غلبت الروم » بالبناء للفاعل ، والبناء للمفعول ، وكذا « سيغلبون » بالبناء للمفعول والبناء للفاعل ، يقول جولدزيهر : « وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماما ، ويوضع مكانه

---

(٦٥) شرح المفصل لابن يعيش ١٩/٢ .

(٦٦) الروم : ٢ ، ٣ .

ما هـو نقيضـه ، ويقدم مطلع سورة الروم ذكـرا لاحدى العلاقات التاريخية المعاصرة ، التى يندر ورودها فى القرآن « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » فعلى التفسير المشهور تتضمن الآية انعكاس الأثر الذى تركه فى نفس محمد انتصار الفرس على الروم سنة ٦١٦ م ، وقد وصل خبره الى أهل مكة ، وقد رحب المشركون بهزيمة النصارى ، اذ كانوا يميلون الى الفرس ، أما محمد فقد ساء تأثره من هزيمة النصارى ، اذ كانوا على كل حال أقرب الى عاطفته ، ولكنه فى نفس الوقت عبر عن ثقته بأن الدائرة ستدور قريبا على الفرس ، وسيستدير خط العرب وجهة أخرى ، وفى هذا يرى المسلمون دليلا على نبوة محمد ، لأنه تنبأ بانتصار « هرقل » على الفرس سنة ٦٢٥ م ، وأخبر به على وجه التأكيد ، ولكن الجملة التالية لم تذكر لنا حقا مثل هذا التحديد لحدث تاريخى خاص سيتحقق وقوعه يوما ما ، وانما يريد محمد أن يعبر بوجه عام عن أمله فى تقلب الحظ ، فالروم الآن مغلوبون ، ولن يمضى وقت طويل حتى يصيروا غالبين ، هذه هى سنة التاريخ المتقلبة الأطوار ، بيد أن الجميع لم يتفقوا على قراءة النص كما سبق ، بل قرىء أيضا « غلبت لروم » بالبناء للفاعل « فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » بالبناء للمفعول « فى بضع سنين » ، ونرى أن فى القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايرا بعيدا ، فالمنتصرون فى القراءة المشهورة هم المنهزمون فى القراءة المخالفة ، والفعل المبنى للفاعل فى الأولى مبنى للمفعول فى الثانية ،

واذن فهمـا قراءتان وتأويلان لجملة واحـدة من كلام الله متعارضان الى أبعـد مـدى »(٦٧) .

والحـق أنـه لا تعارض بين القراءتين ، وهـذا المستشرق الذى مـدم التـاريخ محققـا لـم يفهـم من التاريخ شـيئا ، فالـروم قـد غلبت بالفعـل وغلبت ، حيث غلبت على ريف الشـام ، وغلبت من المسلمين فى جهـاد الـروم ، فهى غالبة مغلوبة من هـذا الجانب ، وأمـا كونهـا مغلوبة غالبة فبالنسبة الى الفـرس ، حيث غلبت الفرس الـروم ، ثـم غلبتهـا الـروم ، فهى غالبة مغلوبة من هـذا الجانب ، وقـد صـرح جـار الله الزمخشرى بذلك(٦٨) ، لكن لمـا كان تصريحه لا يوافق هـوى المستشرق لـم يذكـر الزمخشرى بشىء مع أنه كمـا مـد علمنـا من مصادره الأصلية ، ومن هنـا يعـلم أن الزمخشرى دو ذوق لغـوى عـال اذا خـالف وعارض ، وركب متن الشـك ، والظـن ، وسلك سبيل اللجاجة فهـو حبيب جولدزيهر ، ومفـكره المعـلاق ، الذى لا يشق لـه غبـار ، فـاذا أنصف الزمخشرى ، وحقق تاريخـا ، وأثبت علمـا فهـو نكـرة فى كتـاب جولدزيهر ، لا يستحق التعريف ، بـل انـه من وادى المجهول فى نظـر المستشرق ولـو أنـه كان أمينـا ، لذكر كـلام الزمخشرى فى هـذا الموضع ، كمـا ذكره فى قـوله فى قـراءة ابن عـامر : « فهـذا شىء لو كان فى محـل الضرورات وهـو الشعر لكان سـمجا مردودا ، فكيف بـه فى النظـم المعجـز » وقـد فصلنا القـول فى ذلك ، وما أردنـا أن

---

(٦٧) مذاهب التفسـير الإسلامى ص٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

(٦٨) وانظـر الكشـاف ٣/٢١٣ ، ٢١٤ .

نؤكده هنا أن الرجل يلتقط من الكلام ما يوافق هواه ، ويركز على صاحبه ، ويعول عليه ، ويزرع بذور الشك فى نفوس قارئيه من خلال اثباته لكلام أحد العلماء المسلمين الذين ربما كان مقصده عدلا ، لكن المستشرق شم منه رائحة المخالفة فجعل من الصغيرة كبيرة ، ومن الشك يقينا ، ومن الظن قطعا بأن هذا الرأى يمثل تردد الجهابذة فى قبول النص القرآنى .

ومن العجيب أن تعليق الأستاذ المترجم جاء سطحيا ، حيث ذكر أن القراءة التى هى بالبناء للفاعل لم يعتد بها ، وهو عكس التحقيق ، اذ ان هذه القراءة لنصر بن على ، وهو ثقة(٦٩) ، وقد بينا فى هذا البحث أن القراءة الشاذة لا تقبل الا عن ثقة ، ولا مانع من تخالف معنى القراءتين ما لم يتناقضا وكون غريق غالبا ومغلوبا فى زمانين لا تتناقض فيه ولا تعارض كما يدعى المستشرق .

(٦)

المسلمون وتغيير النصوص (لام الأمر)

ويرى جولدزيهر أن تعدد الروايات للنص الواحد كان هو الباعث وراء خوف المسلمين على عقيدتهم وخوفهم من ناقديهم ، ومن ثم غير المسلمون فى النصوص ، ويرينا المستشرق خلاصه

---

(٦٩) عناية القاضى وكفاية الراضى ١١٢/٧ .

مكره ونهاية بحثه فى صورة الأحمق الجاهل ، ألا ترى أن الذى يفهم أن لام الأمر لا تفيد معنى آخر غير الأمر لا يعرف من القشور الا اسمها ، فضلا عن معناها الذى لا يضيف جديدا ، ولا يأتى بفائدة ، يقول جولدزيهر : « وأود فى هذا السياق أن أشير الى أن مثل هذه الاحتياطات الدينية قد دعت أيضا فى بعض الأحيان الى اجراء تصويبات فى الحديث ، وان كانت نصوصه من أول الأمر أكثر اضطرابا من نص القرآن ، وسنختار — عن قصد — مثالا يبدو تافها لنتبين الى أى مدى من الدقة تذهب الشكوك العقدية عند علماء الدين ، روى أن النبى كان اذا جاءه سائل قال لمن حضر من أصحابه : « اشفعوه فلتؤجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما يشاء »(٧٠) أى أن ما سأجيب به السائل بعد شفاعتكم ليس من عندى ، ولكنه يوافق ما قضى به الله ، فلفظ « وليقض الله » يبدو أنه غير لائق فى حق الله عند أهل السنة لا المعتزلة ، لأنه يقتضى الوجوب ، ولا يجب على الله شىء ، وقد جاءت رواية أخرى ، أزالت هذا الاشكال ، اذ غيرت فعل الوجوب الى الوقوع « يقضى الله » وبهذا أبعد عن البال ايجاب شىء على الله سبحانه »(٧١) .

---

(٧٠) رواه البخارى وغيره ، عن ابى موسى — رضى الله عنه — وفى سنن البيهقى : عن أبى موسى قال : كان رسول الله — ﷺ — إذا جاءه السائل قال : اشفعوا فلتؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » وفى السراج المنير شرح الجامع الصغير ، عن جابر ابن عبد الله : « اشفعوا تؤجروا » وفيه عن معاوية : « اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » ٢٠٧/٢ ، ط. الازهرية الاولى .

(٧١) مذاهب التفسير الإسلامى ، ص٤٤ .

ومن الأمور التى يعرفها أقل طالب علم أن لام الأمر لا تتطلب الوجوب فى كل حال ، فقد يخرج الأمر عن حقيقته ، وقد ذكر النحاة ذلك أيضا ، فأين المستشرق من النحو اذن ؟!

فاللام تفيد الأمر فى نحو قوله - عز من قائل : **« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله »(٧٢)** .

وتفيد الدعاء فى نحو قوله سبحانه : **« ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون »(٧٣)** ، كما تفيد الالتماس اذا ما كان الأمر من المساوى كأن يقول لمساويه : لتقم ، اذا لم يرد الاستعلاء عليه .

وقد يراد بها وبمدخولها الخبر ، قال ابن هشام . « ولا فرق فى اقتضاء اللام الطلبية للجزم بين كون الطلب أمرا ، أو دعاء ، أو التماسا ، وكذا لو أخرجت عن الطلب الى غيره كالتى يراد بها ، وبمصحوبها الخبر ، نحو **« من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا »(٧٤)** ، وقوله تعالى : **« اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم »(٧٥)** أى فيمد ، وتحمل ، أو التهديد ، نحو **« ومن شاء فليكفر »(٧٦)** .

---

(٧٢) الطلاق : ٧ .
(٧٣) الزخرف : ٧٧ .
(٧٤) مريم : ٧٥ .
(٧٥) العنكبوت : ١٢ .
(٧٦) الكهف : ٢٩ ، وانظر مغنى اللبيب ص٢٣٣ بتصرف .

وعلى هـذا يتبين لنـا أن الـلام فى قـوله — ﷺ — « وليقض الله » من هـذا القبيـل الذى ذكـره ابن هشـام من نحـو قـوله — عـز وجـل — : « وقـال الذين كفـروا للذين آمنـوا اتبعـوا سبيلنا ولنحمـل خطاياكم » أى التى يـراد بهـا وبمدخولها الخبر ، والمعنى : ويقضى الله على لسـان نبيـه ما يشـاء ، فهذا هـو المعنى الذى تقبـله قواعـد العربية ، وترضاه أصول الفهـم للسان العربى ، أمـا كـون لام الأمـر لا تفيد معنى آخـر غـير الأمـر فتلك نظرة بدائية متخلفـة ، بينهـا وبين الحقيقة أمـد بعيد ، تـاه فيه جولد ، فـلم يصـل الى شىء ، فقـط نـراه قـد زج النصوص زجـا غـير رقيق ، ورسم لقـارئه صورة المسلمين بأنهـم هكذا قرروا قواعدهم ، فلمـا جاءهم نص من أحـاديث نبيهـم ورأوه يخالف ما قرروه غيروا فى الروايات ، لكى يتفق قـوله — ﷺ — « ويقضى الله على لسـان نبيـه ما يشـاء » وما وقـر فى قلوب أهـل السـنة من أن الله — تعـالى — لا يجب عليـه شىء ، فمـاذا يقول « جـولد » فى النصوص القرآنية التى وردت وفيهـا الأمـر صريحا بصنيغته ، دون الـلام الداخلة على المضارع لافـادة الأمـر ، والتى عـلم الله — عز وجل — عبـاده أن يدعـوه بهـا من نحـو قوله — سبحانه وتعـالى — : **« ربنـا اننـا سمعنا منـاديا ينـادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنـا فاغفر لنـا ذنوبنا وكفـر عنـا سيئاتنا وتوفنا مع الأبـرار . ربنـا وآتنـا ما وعدتنا على رسـلك ولا تخـزنا يـوم القيامة انك لا تخلف الميعـاد »**(٧٧) فعـل « اغفـر ، وكفـر ، وتوف ، وآت » أوامـر على سبيل المعنى الأصلى للأمـر ، والمـراد بهـا الوجوب ،

---

(٧٧) آل عمـران : ١٩٣ ، ١٩٤ .

فيجب على الله ــ عــز وجــل ــ أن يستجيب ، ولــو أن جولدزيهر قــرأ بعدها قــوله ــ تبــارك اسمه ــ : « **فاستجاب لهــم ربهــم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** »(٧٨) ، لتوهــم أن قوله ــ تعــالى ــ : « فاستجاب » يؤكــد ذلك ، ففى آيــة أمــر ، وفى آيــة أخــرى بعدها مباشرة استجابة ، فأى دليــل بعــد هــذا النص يقنــع القــارىء الأعجمى من أهــل الغــرب ، الجاهل من أهــل الشــرق بأن الأمــر أمــر ، على حقيقته وهــذا هــو الدليل الدافــع ــ دمغت أفكار الملحدين ــ فمــا هــكذا تفهــم النصوص العربية لاسيما نصوص القــرآن الكريم المحــكم ، وخــير ما ننصح بــه اخواننا وقــراء هــذا النص من غــير المتخصصين أننا نقــرر القواعد أولا ، ونفهمها على وجههــا الصحيح ، ونطبق عليهــا النصوص ، ومن رحمــة الله ــ عــز وجــل ــ بنــا ، وبأفكارنا أنــه هــدانا سبيل الرشــاد فى كتــابه الكريم ، فنحن اذا قلنــا ان الأمــر فى قــوله تعــالى : « اغفــر ، وكفــر ، وتوف ، وآت » الغــرض منــه الدعــاء وليس الغــرض منــه الوجوب ؛ اذ لا يجب عليه ــ جــل وعــلا ــ شىء ، وانما دعــاه المؤمنون ، الذين استجابوا لدعوة رســوله ــ ﷺ ــ ومن رحمــة الله وفضله أنــه استجاب لهــم ــ فقــد أشــار القــرآن الكريم الى تلك القاعدة اشارته الندية الطيبة ، حين قــال : « **وقــال ربكم ادعونى أستجب لــكم** »(٧٩) ، فهــذا يفسر الأمــر فى آيــة آل عمران وفى غيرها من آيات القرآن ، ويفسر الاستجابة ، فقوله على لســان المؤمنين : « اغفر لنــا ذنوبنا وكفــر

---

(٧٨) آل عمــران : ١٩٥ .
(٧٩) غافــر : ٦٠ .

عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ... » الى آخره من باب قوله تعالى « ادعونى » فالأمر غرضه الدعاء ، وقوله : « فاستجاب لهم ربهم » من باب « أستجب لكم » أى من وعده الحق الذى وعدهم به ، حيث وعدهم مغفرة منه وفضلا .

(٧)

ذكاء النحاة فى حل المشكلات

* * *

ويرى المستشرق أن النحاة أذكياء ، قدحوا زناد فكرهم ، ليطوعوا النص القرآنى ويوهموا الناس بأن نصوص القرآن نصوص سليمة صحيحة ، والعجيب أن الأستاذ المترجم يعلق فى هامش ص٤٦ قائلا : « كما جاء فى الآية ٦٣ من سورة طه : « ان هذان لساحران » مع أنه لم يضبط آية طه ، فلا يدرى القارىء ان كانت « ان » المخففة أو « ان » المشددة ، موضع الشاهد الذى استشهد به المترجم على صحة ما قال المستشرق ، وكلا الرجلين بعيد عن الصواب ، فما يراه المستشرق باطل ، كان على الأستاذ المترجم أن يتنبه له ، لا أن يوافقه ، ويؤيده ، قائلا : كما جاء فى الآية (٦٣) من سورة طه ، فهل معنى ذلك أن ما جاء فى هذه الآية دليل على أن النحاة قد بذلوا جهدا فى تطويع النص لقواعد العربية ، وهم موقنون بأن فيه مخالفة لتلك القواعد ، وهل يقول مسلم بذلك ؟!

ثم ماذا فى الآية (٦٣) من دليل على ذلك ، ان القراءة قد وردت على ما جرى عليه اللسان العربى من رفع المثنى بالألف ، ونصبه وجره بالياء ، حيث قرأ أبو عمرو من السبعة « ان هذين لساحران » قال الامام أبو زرعة : « ان هذين لساحران » بالياء ، لأن تثنية المنصوب والمجرور بالياء فى لغة فصحاء العرب ، وأبو عمرو مستغن عن اقامة دليل على صحتها ، كما أن القارىء فى قول الله — جل وعز — : **« قال رجلان من الذين يخافون »**(٨٠) مستغن عن الاحتجاج على منازعه ان نازعه فى صحة قراءته »(٨١) .

ويريد الامام أبو زرعة — رحمه الله — أن يقول : ان قراءة أبى عمرو جاءت على المعهود فى اعراب المثنى ، فلا تحتاج الى دليل من كلام العرب ، أو وجه من وجوه الاستحسان والتعليل والتوجيه ، مثلما لا يحتاج من يقرأ من المائدة قوله تعالى : « قال رجلان من الذين يخافون » الى احتجاج يحتج به على منازعه ان نازعه أحد ، فقال — لا قدر الله — : الوجه أن تكون : قال رجلين ، لأن « رجلين » فاعل ، والفاعل مرفوع بالياء ، أو خرق الاجماع والدنيا جميعا ، فقال : فاعل منصوب أو مجرور مؤكدا ومقررا لا جانحا الى شاذ يحفظ ولا يقاس عليه ، ومع ذلك فأنت ترى أنه لا المستشرق ولا مترجمه أشار أحدهما

---

(٨٠) المائدة : ٢٣ .

(٨١) حجة القراءات ص٢٥٤ بتحقيق سعيد الأفغانى ، ط. مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٢ م .

(٨)

المفارقـــات النحـــوية

* * *

ويبين جولدزيهر أن فى القـرآن الكريم مفارقات نحـوية ، قـد اجتهـد فيهـا الذكاء وحـدة الذهن من جـانب النحـاة ، لتسويغ صحة المواضـع التى حدثت فيهـا تلك المفارقات ، فيقـول : « وفى المواضع التى تبـدو فيهـا مفارقات نحـوية اجتـرأ بعضهم عـلى دعـوى أن ما بقى من ذلك فى نص الكتـاب المنـزل ، المعترف بـه يجب النظـر اليـه على أنـه خطـأ كتابى وقـع فيـه ناسخ غـير يقـظ ، وفى وقت متأخـر فقـط اجتهد الذكـاء ، وحـدة الذهن فى قواعـد العربية بكـل وسائل الفطنـة ، لتسويغ صـحة المواضـع المشـار اليهـا من جهـة العربية ، ولا يتخلفه النحـاة البصريون والكوفيون فى حـدة الذهـن والبصـر بعـلاج المشاكل عن بنى وطنهم من الفقهـاء ، أمـا المدرسة القديمة فـلم تحـاول ذلك ، بـل آثرت فى صـدق وأمانة أن تبقى نص الوحى على ما يعتـوره من مآخـذ ، فقـد روى عن الزبـير بن العـوام أنـه سـأل أبان بن عثمان بن عفـان عن الآيـة (١٦٢) من سورة النسـاء : « لكن الراسخون فى العـلم منهـم والمؤمنون يؤمنون بمـا أنـزل اليـك وما أنـزل من قبلك والمقيمين الصلا » حيث لا يطـابق المعطوف « والمقيمين » ما عطف عليـه ، فأجـاب « أبـان » بأن هـذا من خطـأ الكاتب ، وشـرح لـه كيف تأتى هـذا الخطـأ ، كمـا روى أيضـا عن عـروة بن الزبير.

أنه سأل عن نفس هذا الموضع خالته عائشة ، فروى أنها أجابته : يابن أختى ، هذا من عمل الكتاب ، أخطأوا فى الكتاب »(٨٦).

وفى هذا النص الذى نقلناه عن جولدزيهر ما يدل دلالة واضحة على رأيه فى نحو هذه الآية الكريمة ، والتى سبق أن أشار اليها فى موضع آخر من كتابه ، وفصلنا القول فيها ، فهو يرى أن المتقدمين تركوا القرآن على حاله من الخطأ الذى وقع فيه الناسخون غير اليقظين ، واستمر الحال هكذا الى أن جاء النحاة الأفذاذ فأعملوا جهدهم وذكاءهم ، وحاولوا اصلاح مثل هذه التراكيب التى يرى فيها المستشرق خطأ واضحا ولا خطأ فيها ، والحق أن ما ذكره من حديث ابن الزبير ورد ولكن فيه نظر ، وشأن أمثال هذا المستشرق أنهم بلا نظر الا نظرتهم الى ما يفيد قضيتهم ، فهم يؤمنون بالشكل ويكفرون بالمعنى ، ويتأولون الخلاف ولا يعقلون النتيجة ، ويصفقون كما يصفق الأطفال على توافه الأمور ، فاذا وجدوا شيئا من اللبس زادوه تعقيدا وأذاعوا به ، فقد ورد مثل هذه الآية الكريمة ، مما ظاهره المفارقة بين قواعد النحو ، والنص القرآنى ، الذى يمثل ميدان تلك القواعد ، ومن ذلك قوله — جل وعلا — : « **ان هذان لساحران** »(٨٧) بتشديد « ان » ، وقد سبق الكلام فيها ، وقوله سبحانه وتعالى : « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون** »(٨٨) وهى مما جاء فيه العطف على محل اسم

---

(٨٦) مذاهب التفسير الإسلامى ص٤٦ ، ٤٧ .
(٨٧) طه : ٦٣ .
(٨٨) المائدة : ٦٩ .

« ان » قبل تمام الخبر ، والكلام فيها مشهور ، لا يتسع له هذا البحث ، لكنى أقول ان « الصابئون » قد وردت ههنا بالرفع ، ووردت فى سورة البقرة بالنصب فى قول الله — عز وجل — : **« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله عليهم واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**(٨٩) ، وهذا عندى يدل على أن فى القرآن الكريم اشارات الى اللغات ، وكأنه من الاعجاز اللغوى ، ممن العرب من يعطف على محل اسم « ان » بالرفع فى نحو قول الشاعر :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله

فانى وقيار بها لغريب

وقد ذكر ابن هشام فى شرح بانت سعاد أنه لا خلاف فى مثل هذا العطف ما لم يتعين كون الخبر للاسمين جميعا نحو : انك وزيد ذاهبان ، فهذا موضع الخلاف ، وأما نحو آية المائدة « والصابئون » ونحو قولك : انك وزيد فى الدار فجائز اتفاقا ، ونصه — رحمه الله — فى شرح قول كعب ابن زهير :

فلا يغرنك ما منت وما وعدت

ان الأمانى والأحلام تضليل

---

(٨٩) البقرة : ٦٢ .

والأحـلام : عطف على اسـم « ان » ويجـوز رفعـه ، فـان قلت : انمـا يجيز ذلك الكسائى وقـد خالفه تلميذه الفـراء ، فاشترط خفـاء اعـراب الاسـم ، نحـو انك وزيـد ذاهبان ، وخالفهما جميع البصريين ، فمنعـوا ذلك مطلقـا . قـلت : هـذا موضع يكثر فيـه الوهـم ، وانمـا الخـلاف ، حيث يتعين كـون الخبـر للاسمين جميعـا ، نحـو انك وزيـد ذاهبان ، وأمـا نحـو « ان زيدا وعمرو فى الدار فجـائز اتفاقـا ، ومنـه قـوله تعـالى : « ان الذين آمنوا والذين هـادوا والصائبون » وبيت كعب اذا رفـع الأحـلام ، اذ التضليل مصـدر ، فيصـح الاخبـار بـه عن الواحد ، وما فـوقه ، وانمـا الخـلاف فى تخـريج ذلك ، فقـال الكوفيون : معطـوف على محـل اسـم « ان » وقـال البصريون هـو امـا مبتدأ حذف خبره ، والجمـلة معترض بين اسـم « ان » وخبرها ، وامـا مبتدأ خبـره ما بعـده ، وحـذف خبـر « ان » ، لدلالة خبـر المبتدأ عليه »(٩٠) .

وقـد رد العلمـاء ما ادعـاه المستشرق ، وخلاصته ما ذكـره السيوطى ، ونصـه : « كيف يظـن بالصحابة أولا أنهـم يلحنون فى الكـلام فضـلا عن القـرآن ، وهـم الفصحاء اللد ، ثم كيف يظـن بهـم ثانيـا فى القـرآن الذى تلقـوه من النبى - ﷺ - كما أنزل ، وحفظوه وضـبطوه وأتقنوه ، ثـم كيف يظـن بهـم ثالثـا اجتماعهم كلهـم على الخطـأ وكتابته ، ثـم كيف يظـن بهـم رابعـا عـدم تنبيههم ورجوعهم عنـه ، ثـم كيف يظـن بعثمـان أنـه ينهى عن تغيـيره ، ثـم كيف يظـن أن القـراءة استمرت على مقتضى ذلك

---

(٩٠) شـرح بانت سـعاد ص٤١ ، ٤٢ ، ط. مصطفى الحلبى .

الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفا عن سلف ، هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة .

وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة :

الوجه الأول : أن ذلك لا يصح عن عثمان ، فان اسناده ضعيف مضطرب منقطع ، ولأن عثمان جعل للناس اماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحنا ، ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها ، فاذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك ، وهم الخيار ، فكيف يقيمه غيرهم ؟ وأيضا فانه لم يكتب مصحف واحدا ، بل كتب عدة مصاحف ، فان قيل ان اللحن وقع فى جميعها فبعيد اتفاقهم على ذلك ، أو فى بعضها فهو اعتراف بصحة البعض ، ولم يذكر أحد من الناس أن اللحن كان فى مصحف دون مصحف ، ولم تأت المصاحف قط مختلفة الا فيما هو من وجوه القراءة ، وليس ذلك بلحن .

الوجه الثانى : على تقدير صحة الرواية : أن ذلك محمول على الرمز والاشارة ، ومواضع الحذف نحو « الكتاب ، والصابرين » وما أشبه ذلك .

الوجه الثالث : أنه مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها ،

---

(٩١) التوبة : ٤٧ .

كما كتبوا : لأوضعوا(٩١) ، لأذبحنه(٩٢) بألف بعد « لا » فلو قرىء ذلك بظاهر الخط لكان لحنا »(٩٣) .

ومما سبق يتبين لنا أن ما ذكره المستشرق عار عن التحقيق فضلا عن الانصاف .

(٩)

اختلاف الحركات الاعرابية يؤدى الى اختلاف الفقهاء

* * *

وأثار جولد زيهر قضية ، رآها من كبرى القضايا الاسلامية ، وهى أن اختلاف الحركات الاعرابية يؤدى الى اختلاف جوهرى فى الفقه ، وقال : « ونقدم المثال الأصيل لذلك آية (٦) من سورة المائدة : « **يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين** » فالرخصة المرفوضة التى قال بها الشيعة من الاكتفاء عند الوضوء بمسح ما يغطى الرجلين بدلا من غسلهما مبنية على عطف « وأرجلكم » على « رؤسكم » المجرور بالباء ، على حين أن وجوب غسل الرجلين مبنى على عطفه منصوبا على

---

(٩٢) النمل : ٢١ .

(٩٣) الاتقان فى علوم القرآن ١/٢٤٠ ، ط. الحلبى .

قال برده ، والحق ليس معه ، وانما مع الذى رده ، فلا ينبغى تخريج القرآن الكريم على ضعيف الأوجه ونادرها ، وعندنا مندوحة تغنينا عن هذا الاختلاف ، يقول العلامة الزركشى : « القرآن لا يعمل فيه الا على ماهو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب ، دون الشاذ النادر ، الذى لا يعثر عليه الا فى موضع ، أو موضعين ، وبهذا يتبين غلط جماعة من الفقهاء والمعربين ، حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : « وأرجلكم » فى قراءة الجر ، وانما ذلك ضرورة ، فلا يحمل عليه الفصيح ، ولأنه انما يصار اليه اذا أمن اللبس ، والآية محتملة ، ولأنه انما يجىء مع عدم حرف العطف ، وهو ههنا موجود ، وأيضا فنحن فى غنية عن ذلك ، فالعرب يقرب عندها المسح من الغسل ، لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا فى المعنى حصل العطف ، ومهما أمكن المشاركة فى المعنى حصل العطف وحسن والا امتنع ، فظهر أنه ليس على المجاورة ، بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر ، وهذا بخلاف صرف مالا ينصرف فى قوله تعالى : « **سلاسلا وأغلالا** »(٩٨) فانما أجيز فى الكلام ، لأنه رد الى الأصل ، والعطف على الجوار خروج عن الأصل ، فافترقا »(٩٩) .

وفى الكشاف يقول جار الله الزمخشرى : « قرأ جماعة :

---

(٩٨) الانسان : ٤ .

(٩٩) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٠٤ ، ٣٠٥ بتحقيق محمد ابى الفضل إبراهيم ، ط. دار الجيل - بيروت سنة ١٩٨٨ م .

وأرجلكم بالنصب ، فدل على أن الأرجل مغسولة ، فان قلت : فما تصنع بقراءة الجر ، ودخولها فى حكم المسح ، قلت : الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة ، تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهى عنه ، فعطفت على الرابع الممسوح ، لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها »(١٠٠) .

وكما قدمنا قبل ذلك أن المستشرق من محبى جار الله الزمخشرى ، وهو عنده صاحب ذوق لغوى ، وعالم بارع ، فلماذا لم يشر الى ما كتبه هنا ؟ والجواب معروف أن ما ذكره هنا لا يخدم القضية التى أثارها ، وهى بيان أن اختلاف الحركات انما يؤدى الى ضجة وثورة فى الفقه الاسلامى ، ومن الأمور البدهية هنا أن بعض الشيعة لا يمثل مذاهب الفقه الاسلامى ، فضلا عما قررناه هنا نقلا عن الأستاذ عبد الحليم النجار ، أن بعضهم (الشيعة) يرى وجوب غسل الرجلين أيضا ، وهم بذلك يلتقون وكبار الفقهاء ، أما أن يشذ بعضهم ، ويظنه المستشرق مذهبا أصيلا نشأ بسبب حركة اعرابية ، كانت نتيجة قراءة قرآنية مما يضحك له الأوربيون أولو القلوب الغفل ، بينما لا ينكره — ان وجد — المحققون من علماء الشرق والغرب ، لما لهذه اللغة من خصائص — فهذا مالا نقبله من جولد زيهر ، ولا من غيره ، أجل ان حركة اعرابية تغير المعنى ، وبتغير المعنى تتغير الأحكام الفقهية ، كما أشار المترجم

---

(١٠٠) الكشاف ١/٥٩٧ .

الى ذلك بقـوله : « بيـد أننـا لا نريد انكـار أن اختلاف القراءات قـد يترتب عليـه اختلاف فقهى » لكن خلاصـة ذلك أن جميع هـذه القـراءات انمـا نقبلهـا على أنهـا قـرآن ، فضـلا عن بيـان لمسـائل الفقهية التى اختلف فيهـا الفقهـاء بسبب اختلاف القراءات ، ولـن تكـون فى الفرائض والواجبات ، وما جـاء متواترا عن رسول اللـه — ﷺ — ولكنها أمـور فرعية ، تحقق معنى القـول الشائع : « اختلاف الفقهـاء رحمـة » ، فالفقهاء لـم يختلفوا فى كون الصلاة من أركـان الدين بسبب قـراءة ، وكـذا فى الدعـائم والأسس التى بنى عليهـا هـذا الدين الحنيف ، فالأمـر فى النهـاية شكلى ، لكن المولعين باثـارة العواصف لا يعنيهـم ذلك .

(١٠)

الاستعاضة عن الفعـل بصيغة الجمـع

* * *

ويـرى جـولد زيهر أن فى نصوص القـرآن الكريم كلمـات لا تليـق فى حـق الله — عـز وجـل — لذا بـادر القـراء والعلماء بالتغيـير والتبديل ، ودليـله ينقض دليـله ، حيث جـاء بآية توهـم فيهـا حـدوث ذلك ، ثـم جـاء بآيـة أخـرى لـم يحدث فيهـا ذلك لكنه قـال : ان التعديل هنـا صعب عليهم فتركوا النص عـلى ماهـو عليـه ، يقـول : « ومن أنواع القـراءات المختلفة لنـص القـرآن ، التى رأينـا هنـا عـددا منهـا ، أود أن أضـع قيمـة كبـيرة لطائفة سبقت الاشـارة اليهـا من قبـل ، ولنـا أن نتحدث عنهـا أكثـر من ذلك لمـا لهـا من طـابع أساسى .

ذلك أن عـددا من القراءات المخـالفة للنص المتلقى بالقبـول يجـد البـاعث اليـه فى الخشـية من السـماح باستعمال عبـارات متصـلة بالله ورسـوله تبـدو غـير لائقـة أو غـير متفقـة مـع وجهـة النظـر الى وجـوب تعظيم الله ورسوله ، وهنـا أراد بعض القـراء استبعاد هـذا التخـوف من صـدور مـالا يليق بتغيـير يسـير فى النص على نحـو طريقـة (تقون سوفريم) فى نص العهـد القديم ، وان كـان هناك حقـا فـرق بين الطريقتين فـان التغييرات اللفظيـة التى أجـريت بباعث اللياقة وحسـن الأدب فى النص الأصلى للعهـد القديم قـد وصلت الى اعتمـاد نهـائى ، على حين لـم تنجـح دائمـا مثـل هـذه التغييرات فى نص القرآن للاحتفاظ بوجودهـا فى النص المتلقى بالقبـول ، وستثير بعض الأمثـلة نوع هـذه التغييرات التنزيهية ، النص المشهور للاية (١٨) من سـورة آل عمـران : « شـهد الله أنـه لا الـه الا هـو والملائكة وأولـو العـلم ... » أدرك بعضهم ما تثـيره شهادة الله لنفسـه لاسـيما مع قـرن ذكـره بالملائكة ، وأولى العـلم ، على أنهـم شاهدون معه ، فاستعانوا على عـلاج ذلك بالاستعاضة عن قـراءة الفعـل « شهد اللـه » بصيغة الجمـع « شهداء الله » رابطين ذلك بالسياق فى الآيـة السابقة ، على أن يكون المعنى : الصابرين والصادقين .. شهداء الله أنـه لا الـه الا هـو والملائكة الى آخـره .

بيـد أن من أحـدثوا التعديل المذكـور لـم يجـروا مثـله فى الآيـة (١٦٦) من سـورة النسـاء « لكن الله يشهد بمـا أنـزل

اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون » فتركوها دون تغيير ، لصعوبة التعديل بها »(١٠١) .

وهذا كلام واضح فى أن القراء الذين استعاضوا عن الفعل « شهد الله » بصيغة الجمع « شهداء الله » قد فعلوا ذلك لتنزيه الحق تعالى عن شهادته نفسه ، بأنه - جل وعلا - لا اله الا هو ، وأود أن أنبه الى أمر خطير ، هو أن ذلك المستشرق ربط بين هذا الذى توهمه فى القراءات ، وبين التعديل الذى حدث فى الانجيل « العهد القديم » ليقول : **اننا حين نهاجم من المسلمين بأن فى الانجيل تحريفا أو بلفظه تعديلا فان كتاب المسلمين المقدس قد حدث فيه ذلك ، وهذا أمر يجب التنبه اليه** ، لمعرفة المرامى التى يقصدها ذلك المستشرق وأمثاله ، ولا يعقل عند قارىء واع أن يكون الأمر قد صعب على القراء الذين يجدون القدرة على التغيير والتبديل أن يغيروا فى نص جاء على شاكلة ما غيروا فيه وبدلوا ، فماذا عليهم وهم أرباب الفصاحة ومالكو الزمام أن يستبدلوا نصا بنص مادام الأمر صار لعبة ، ولم يدر جولد زيهر أنه دفع دليله بدليله ، ولو أن انسانا أراد أن يقف على معنى قوله تعالى « شهد الله أنه لا اله الا هو » لوجد عند العلماء والمفسرين معناه يخالف ما ذكره جولد زيهر ، ففى تفسير البيضاوى : « شهد الله » بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها ، وانزال الآيات القاطعة بها »(١٠٢) .

---

(١٠١) مذاهب التفسير الإسلامى ص٣٢ ، ٣٣ .

(١٠٢) تفسير البيضاوى ١٢/٣ بجانب حاشية الشهاب عليه .

وللـه در الأستاذ المترجـم حيث قـال : « أى شىء يثـيره ذلك ؟ ان هـو الا خيـال صبيان لا يحيـك الا فى نفس جولد زيهر وأمثـاله »(١٠٣) .

وكمـا قلت فيمـا سبق ان القضـية قضـية فهـم للنصوص ، وفهـم النصوص لا يتأتى الا من خلال فهـم لغـة هـذه النصوص ، مراميهـا ، ومناحيهـا ، واتجاهات أساليبها ، ومعـرفة المـراد من الأمـر وغـيره اذا خـرج عن حقيقته ، وغـير ذلك من الأمـور التى يعرفها المتخصصون وأبنـاء اللغـة أنفسهم الذين تربوا فى أحضانها ، ونهـلوا من معينهـا ، وخبروها ، وصارت بالنسبة اليهـم كالدم يجرى فى عروقهم ، والنفس يسـرى فى صدورهم ، والحـركة تنبعث من أيديهـم وأرجلهم وسـائر أعضائهم ، فهـم أولى النـاس بهـا لكن مثـل هذا الدعى أنى لـه تلك المنزلة وهـذه الدرجة التى يرقى بهـا الى فهـم أسـرار اللغـة فضـلا عن فهـم أساليب القرآن الكريم .

(١١)

المضـارع وزمـان المسـتقبل

* * *

وهـذه قضـية أخـرى توضـح ذلك وتؤكـده ، فالمستشرق جـولد زيهر يـرى أن قـولك : « لأعلمن » لا يفيـد الا علمـك فى المستقبل ، فقـد تعـلم وربمـا لا تعـلم اذا تعـلق ذلك بشـرط .

---

(١٠٣) مذاهب التفسـير الإسلامى ص٣٢ تعليقـات .

كأن تقول : سأختبرك ولأعلمن صدقك أو كذبك ، تفوقك أو تخلفك ، ممعنى ذلك أن لا تعلم الآن ، وسوف تعلم بعد الاختبار .

هكذا تصور المستشرق ، وهو يعرض نموذجا جديدا من النماذج القرآنية التى يرى أن القراء تدخلوا فيها ، فغيروا ، وبدلوا ، ليزيلوا شبهة ويوضحوا معنى ، يتفق ومبادىء الاسلام ، بقول جولد : « وفى آيتى (٢ ، ٣) من سورة العنكبوت : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » تشتمل هذه الكلمات على افتراض أن الله سيعلم ذلك أو لا بعد امتحان ، كأنما لم يعلمه دون ذلك ، وكأنما ليس هو الذى قدره وقضاه ، ويبدو أن قراءة منسوبة الى على والزهرى قصد بها الى رفع هذه الشبهة ، وهذه القراءة تجعل من « فليعلمن » بتغيير فى حركاتها « فليعلمن » (بضم الياء وسكون العين وكسر اللام) بمعنى « فليعرفن » الله الناس بهم ، أو بمعنى فليسمنهم الله بعلامة ، يعرفون بها ، فعلامة الصادقين سواد العيون أو كحلها وعلامة الكاذبين زرقة العيون ، وتعد زرقة العيون عند العرب علامة على خبث الطوية ، وتعد قبيحة ، يتشاءم بها ، وينسب اليها أحيانا قوة سحرية ضارة »(١٠٤) .

والقراءة التى ذكرها جولد من الشواذ يقول الزمخشرى : « وقرأ على — رضى الله عنه — والزهرى وليعلمن من الاعلام ،

---

(١٠٤) مذاهب التفسير الإسلامى ص٣٥ ، ٣٦ .

أي وليعرفنهم الله الناس من هم ؟ أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها ، وكحل العيون وزرقتها »(١٠٥).

هذا توجيه الزمخشري للقراءة ، ولا شيء فيه متى ثبت ذلك عن الامام علي .

ولما لم يذكر الزمخشري شيئا ما قراله جولد زيهر تجاهله ذلك المستشرق ، وقد سبق مني أن بينت ذلك ، فهو يبتعد عنه مادام لا يخدم قضيته ، وهنا يتضح لنا معنى المفارقة بين توجيه مصحوب بفكر مبشر غربي ، وبين توجيه مصحوب بتحقيق علمي ، الأول يمثله ذلك المستشرق ، وهو أن الامام عليا — كرم الله وجهه — قد قرأ هذه القراءة لكي يزيل شبهة أن الله قد يعلم وربما لا يعلم ، فعلم الله متوقف على نتيجة الامتحان الذي يمتحن به عباده ، وبعد الامتحان ، وتصحيح الأوراق ، ورصد الدرجات يعلم الصادق من عباده والكاذب، هذا هو المعنى الساذج الذي يراه جولد زيهر ، وهو بعيد كل البعد عن الفهم الصحيح ، يقول الزمخشري نفسه في توجيه القراءة المشهورة : « فان قلت : كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل ؟ قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد ، والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ، ويجوز أن يكون وعدا ووعيدا ، كأنه قال : « وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين »(١٠٦) .

---

(١٠٥) الكشاف ١٩٦/٣ .

(١٠٦) الكشاف ١٩٦/٣ .

ولا حـاجة الى ما ذكـره المستشرق من الفهـم الضيق ، فهـذا هـو المعنى الصحيح الذى كـان يعنى الأسـتاذ المترجم عن قوله : « هى قـراءة آحـاد لا يعتد بهـا فى القراءات المتواترة ولا الشاذة ، أى لا فى السـبع ، ولا الأربـع عشرة ، ولـم يبـال أحـد بتغيـير قـراءة بقصد اختيارى ، فهـو تقول على عـلى والزهرى بالباطل ، وهمـا أجـل من أن يفعـلا ذلك بهـذا القصـد »(١٠٧) .

فالعبـرة عندنا كمـا أن العبـرة عنده بالفهـم لا بالرواية ، والقـراءة ثابتـة ، ولهـا وجهتهـا التى هى وجهـة المتواترة أيضـا فمعنى « ليعلمن » يعرفن النـاس بهـم ويجعـل لـم سمة وعـلامة نميزهم ، وهـو أحـد المعانى التى اشتملت عليها القـراءة المتواترة ، وهـو معنى الشـاذة المـروية عن على بن أبى طـالب ، فخير ما يقال توضيح الأمـر على وجهه الصحيح ، وبيان أن مثـل هـذا المستشرق لـم يفهـم ذلك ، وأنـه افتـرى فى محـاولة التلفيق ، وبذل جهـد اقدماء فى ازالـة الشبهة ولا شبهة .

(١٢)

التعـديل للبنـاء للمجهـول
وورود الظـن بمعنى العـلم

من تخبـط المستشرق أنـه يتخيل بعض القراءات الشاذة أصلية متواترة ، والعكس ، فقـد ذكـر أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ

---

(١٠٧) مذاهب التفسـير الإسلامى ص٣٥ .

نفسها غيرت فى القراءة الأصلية ، ليستقيم المعنى ، الذى لا يرضى عيره أى مؤمن ، يقول جولد زيهر : « وكان لابد أن تسبب للمفسرين حيرة كبيرة آية (١١٠) من سورة يوسف : « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

والمعضلة هنا فى الكلمات : « وظنوا أنهم قد كذبوا » بالبناء للمعلوم ، أى صدر عنهم الكذب ، اذ لاشك أن هذه هى القراءة الأصلية ، والجمتان : حتى اذا استيأس الرسل ، وقد تذبوا أسند الفعل فيهما الى فاعل واحد ، الرسل ، فقد أنذروا الكافرين بالوعيد فلم يتحقق فاستيأسوا من ذلك ، وظنوا أن ما أنذروا به ليس حقا ، ولكن أخيرا جاء من عند الله ما يكشف كل شك ، عقاب المجرمين ، ونجاة الصادقين ، وتمت النصفة للأنبياء ، وهنا يرد محمد - ﷺ - متخذا من حالة الأنبياء السابقين مثلا على استهزاء المشركين ببلاغة عن اقتراب الساعة ، وحساب الآخرة ، وكلاهما لم يقع بعد .

بيد أن يكون الأنبياء قد ظنوا أنهم كذبوا ، أى صدر نهم الكذب أمر لا يستطيع مؤمن صادق الايمان أن يتحمله ويتقبله ، فبدا من الأهمية بمكان ايجاد حل لهذا الاشكال وجعلت الرواية زوج الرسول عائشة نفسها تتدخل فى الأمر ، وكان لابد أن يسمح اصلاح النص بطائفة من الاحتمالات أذكر بعضها فحسب ، فقد قرأ بعضهم بدلا من كذبوا بالبناء للمعلوم « كذبوا » أو كذبوا بالتخفيف والتشديد على البناء للمجهول ،

أى أن المشركين كـذبوا الأنبيـاء ، أى رموهـم بالكذب ، ولكن على ذلك تكـون كلمـة « ظنـوا » فى غـير محلهـا ولهـذا عالجوا ذلك بتـأويل معنى الظـن ، فهو قـد يدل عند الضرورة على معنى العـلم أيضـا وآخـرون يبقـون القـراءة المعترض عليهـا دون تغيـير ، ولكن يلجـأون الى التصرف النحـوى مفترضين أن الفـاعل المسند اليـه الظـن هـم المشركون ، أى وظـن المشركون أن الرسـل قـد صـدر عنهـم الكـذب ، كمـا ذهب بعض الى العكس : وظن الرسل أن المشركين قـد صـدر منهـم الكذب ، وهـذا الجهـد الذى بـذل لانقـاذ قـراءة « كـذبوا » (بالبنـاء للفـاعل) من وجهة نظـر التفسير دليـل على أنهـا هى القـراءة الأصلية »(١٠٨) .

وبنظـرة سريعة الى كتب القراءات المتخصصة نستطيع أن ندرك أن القـراءة التى ظنهـا أصلية ليست من القراءات المتواترة ، فهى اذن من الشـواذ ، وقـد صرح جـولد زيهر فى آخـر كلامه أن الجهـد الذى بـذل من العلمـاء والنحـاء هـو الدليـل عنده على أن هـذه القـراءة أصلية ، وهـذا عند أهـل العـلم تخبـط ظاهـر ، وجهـل صريح ، فـان القـراءة لا تعـد أصلية بمـدى الجهـد الذى بذله العلمـاء فى تخريجها ، وقـد سـبق بيـان ذلك فى قـراءة « ان هذين لساحران » باليـاء ، وسجلنا فى هـذا البحـث أن صاحبها ليس فى حاجـة الى ما يحتـج بـه على منـازعه ان وجـد ذلك المنـازع ، مع أن هـذه القـراءة مخالفة لرسـم المصحف ، وقـد تلقاها الناس بالقبـول ، لصـحة روايتهـا ، وموافقتها قواعـد العربية فالأمـر

---

(١٠٨) مذاهب التفسير الإسلامى ص٤١ ، ٤٢ .

بالنسبة الى القـراءات توقيفى باعتبـار الرواية ، وليس باعتبـار ما بذل من جهـد فى تخـريج هـذه القـراءة . هـذه واحـدة .

وأمـا الأخـرى فقـوله ان هـذه الرواية جعلت السيدة عائشة زوج الرسـول تتدخل ، فمـا معنى هـذا ؟ هـل وكـل أمـر القرآن ألى عائشـة ؟ وهـل تعـد أم المؤمنين — رضى الله عنهـا — من القـراء ؟ ان أحـدا لـم يقـل ذلك ..

ولقـد وقفت على هـذه الرواية التى ذكرهـا جـولد زيهر فى كتـاب أبى محمـد مكى القيس (٤٣٧ هـ) فقال ما نصـه : « وقـد روى عن عائشـة أنهـا أنكرت القـراءة بالتخفيف ، وقالت : معاذ الله لـم تكن الرسـل لتظن ذلك بربهـا ، تريـد أن الرسل لا تشـك فى وعـد الله ووعيده ، وقـالت هـم أتبـاع الرسـل ، طـال عليهم البـلاء ، واستأخر عنهـم النصـر ، حتى ظـن الرسل أن أتباعهم قـد كذبوهم ، فالظـن بمعنى الشـك ، والتشديد هـو الاختيـار ، ون الأكثـر عليـه »(١٠٩) .

وهـذا الذى رواه مكى عن عائشة فى روايـة « كـذبوا » المخفف بالبنـاء للمجهول بينمـا الذى رواه جـولد زيهر عن عائشة فى رواية « كذبوا » المخفف بالبنـاء للفـاعل ، فالتحريف من جانب المستشرق واضـح وضوح الشمس ، ثم أن الرواية عن ائشة تحتمل المناقشة ، اذ القـرآن الكريم كـان يتـلى فى بيتهـا ، فمتى اعترضت ؟ ومتى ردت ؟ وهى المـأمورة بنص آيـة الأحـزاب أن تذكـر ما يتـلى

---

(١٠٩) الكشف عن وجـوه القراءات السـبع ١٦/٢ .

فى بيتهـا من ايات الله والحكمة ، وهى أولى النـاس بالفهـم الصحيح للحـروف التى نزلت على زوجهـا ونبيهـا ـ ﷺ ـ والقـراءة التى ذكرهـا جولد زيهر عن مجـاهد ، قـال الزمخشرى : « وقـرأ مجاهد « كـذبوا » بالتخفيف على البنـاء للفـاعل على : وظـن الرسـل أنهـم قـد كذبوا فيمـا حـدثوا بـه قومهم من النصرة ، امـا على تأويل ابن عبـاس (أى أن المـراد بالظـن ما يخطـر بالبـال ، ويهمس فى القلب من شـبه الوسوسة ، وحـديث النفس على ما عليه البشرية) وامـا على أن قومهم اذا لـم يروا لموعدهم أثـرا قـالوا لهـم : انكم قـد كذبتمونا ، فيكونون كاذبين عند قومهم ، أو وظـن المرسـل اليهـم أن الرسـل قـد كـذبوا »(١١٠) .

وفى تعليق ابن المنـير يقـول : « ولا يلزم أن يكـون الله قـد وعدهـم بالنصـر فى الدنيـا ، بـل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن اخبـار ووحى »(١١١) .

وأمـا قـول جولد زيهر ان الظـن قـد يـدل عند الضرورة على معنى العـلم فمن الذى قـال بذلك ؟ فمـا الضرورة فى قـول الله تعـالى : « واستعينوا بالصـبر والصـلاة وانهـا لكبيرة الا على الخاشـين . الذين يظنـون أنهـم ملاقـو ربهـم وأنهـم اليـه راجعـون »(١١٢) .

---

(١١٠) الكشـاف ٣٤٧/٢ .
(١١١) حاشية ابن المنـير ٣٤٧/٢ بجانب الكشاف .
(١١٢) البقـرة : ٤٥ ، ٤٦ .

وعلمـاء العربية جميعـا يعلمون أن امـام النحـاة سيبويه ـ رحمـه الله ـ ذكـر مـالا يحصى من قـوله : وزعـم الخليـل ، وظـن ، وذلك كلـه بمعنى اليقين ، فمـا الضرورة فى ذلك ، ولـو أن جـولد زيهر على عـلم بالعربية فطـن الى ذلك ، ولـما لجـأ الى قـوله ان الظـن عند الضرورة قـد يـدل على معنى العـلم .

الخاتمـــة

وبعـد ، فهـذه دراسـة مركزة لنحـو القـرآن الكـريم فى ضـوء كتـاب ، ألفـه المستشرق جـولد زيهـر وسـماه « مذاهب التفسـير الاسلامى » وقـد ترجمه الى العربية الأستاذ عبد الحـليم النجـار ، وهـو عمـل غـير هين والحق يقـال ـ فقـد بذل فيـه المستشرق « جـولد زيهر » جهدا كبيرا ، حيث تتبـع مدارس التفسير منـذ كـان للتفسير وجـود الى آخـر ما كتبـه الامـام محمـد عبـده ، فهـو مرجـع كبـير ، وأسلوبه علمى الى أبعـد مـدى من حيث انـه عـرض المذاهب ، وأصحابها ، واتجاهاتها ، وتاريخهـا ، وأثـر كـل مدرسـة فى التى تليهـا وما من عمـل يتصـل بكتـاب الله الا كـان النحـو أحـد أركان هـذا العمـل ، فالمفسر بالضرورة لابـد أن يتوكـأ على عصـا النحـو حتى يستقيم لـه فهـم كـلام الحـق تبـارك وتعـالى ، ولذلك تعـرض جـولد زيهر الى نحـو القـرآن الكـريم ، من خـلال القراءات القرآنية المتواترة والشاذة ، وبـدا لى وأنـا أطـالع الكتـاب لأول مـرة أن عرضه العلمى المتميز قـد يضـل بـه كثـيرا من النـاس فالرجـل لا يشتم القـرآن ، ولا يسـب المسلمين ، والا لوجـد العـامة قبـل الخاصة ينصبون لـه العـداء ، ويقيمون لـه المحاكمات ، وهـو فى الأولى والآخـرة من الخاسرين لكن الرجـل يقـدم النص ، ويقـدم ما يتوهـم أنـه نقيضـه ، ثـم يقـرر فى النهـاية أن هذين نصين من كتاب الله قـد تعارضا الى أبعد مـدى ، كمـا فعـل فى قوله تعالى : الم .

غلبت الروم . فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » ، فقد ذكر أن « غلبت » و « سيغلبون » قرئتا بالبناء للمفعول فى الأول ، والبناء للفاعل فى الثانى ، وهى القراءة المشهورة ؛ كما قرئتا بالبناء للفاعل فى الأول ، والبناء للمفعول فى الثانى ؛ ومعنى ذلك كما يرى هو أن الفريق الواحد غالب فى قراءة مغلوب فى قراءة أخرى ، وعلى فرض أن القراءة تعد عند المسلمين نصا من كتاب الله ، فهذان نصان من كتاب الله قد تعارضا الى أبعد مدى وقد ذكرت ما أصابه من خلل فى الفكر ، وبينت معنى الآية على كلتا القراءتين وأنه لا تناقض فيهما البتة .

ويصف جولد زيهر النحاة بأنهم أذكياء ، وما ذلك لحب فيهم ، ولا لمدح يستحقونه عنده ؛ ولكن ليبين لقارئه أنهم استعملوا ذكاءهم فى تسويغ النص القرآنى ، واقناع الناس بأنه جرى على الفصيح من لسان العرب ، وكأن المترجم الأستاذ النجار قد اطلع على نسخة أخرى من كتاب « مذاهب التفسير الاسلامى » فعلق على هذه العبارة التى ذكرها جولد زيهر بقوله : كما فعل النحاة فى قوله « ان هذان لساحران » وكان لزاما على مثلى ممن يتعرض لهذا الموضوع أن يرد على المؤلف والمترجم ، ببيان الصواب ، وتبيان الجواب ، وتخريج القراءات الواردة فى هذه الآية الثانية والستين من سورة (طه) لبيان أن النحاة لم يستخدموا ذكاءهم فى تسويغ نص ، من حقه واللائق به أن يكون مسوغا لأساليب الناس الى ماشاء الله ولكن أكثر الناس الى زمان الناس لا يعلمون .

ويرى « جولد زيهر » أن قراءة ابن عامر : **« وكذلك زين الكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »** بالفصل بين المتضايقين ، المصدر « قتل » وهو النائب عن الفاعل ، وفاعله « شركائهم » المضاف اليه بالمفعول « أولادهم » قراءة فيها انحراف وتشتت ، وأنها غير مستقيمة ، وعول ذلك المستشرق على كلام الزمخشرى فى النيل من ابن عامر وقراءته وأطنب فى مدح الزمخشرى ، والثناء عليه ، ووصفه بأنه صاحب فكر لغوى ، وذوق أدبى رفيع المستوى ، وأنه لم يسلم من الناس ، الذين يتلقون هذه القراءة بالقبول ، وقد بينت خطأ ما ذهب اليه ، وموقف النحو من تلك القراءة ، وأنها جاءت على المعهود فى الكلام ، ففى السعة يجوز الفصل بين المتضايقين اذا لم يكن الفاصل أجنبيا ، والمفعول للمصدر ليس أجنبيا عنه ، هذا ، فضلا عن كونها قراءة متواترة عن أفصح من نطق بالضاد — ﷺ — فهى تشريع لغوى يقاس عليه رغم أنف المتعصبين للمنهج المدرسى الذى يمنع وقوع هذا الفصل ، لكن مثل هذا المستشرق لا يصل الى هذا المستوى من الفهم ، وكيف يصل اليه ، وهو الذى وقف طويلا أمام قوله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » وبدا له أن قراءة « اقتتلوا » ليس فيها موافقة لقواعد العربية ، اذ كيف يعود ضمير الجمع — عنده — الى المثنى « طائفتان » ، ولذا بنى حكمه على قراءة « اقتتلتا » و « اقتتلا » على أن هاتين القراءتين من مهارة العلماء الذين حاولوا التوفيق بين قواعد العربية وروايات القرآن ، وقد بينا ذلك ، وفصلنا القول فيه .

وأثبت جولد زيهر فى كتابه « مذاهب التفسير الاسلامى » أن فى أساليب القرآن الكريم انحرافا فى التركيب ، اثبات من لم يشم من العربية رائحتها فضلا عن هضم معناها ومراده بذلك قوله عز وجل : « ولكن البر من آمن بالله » وعثر على نص مجهول نسبه الى العلامة المبرد صاحب الكامل ، هو — « لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر » بفتح الباء ، وأخذ يشيد بالمبرد ، ويصفه بما يصف به أنصاره ومؤيديه كما فعل مع الزمخشرى فيما أثبتناه فى البحث وذكرناه آنفا . وقد بينت أن هذه العبارة التى نسبها جولد زيهر الى المبرد محض افتراء ، وجهل بأصول التحقيق العلمى الذى ما يزال طائفة منا يقولون بأن المستشرقين أصحاب الفضل فيه ، والآية ذكرها المبرد فى كتابيه الكامل والمقتضب ، وليس فيما ذكره تعقيبا عليها أدنى اشارة الى أن فى نفسه — رحمه الله — شيئا منها تركيبا وموافقة لأفصح التراكيب التى منها قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هى اقبال وادبار

وكأنى بهذا المستشرق لم يقرأ قوله تعالى : « واسأل القرية التى كنا فيها والعير » وغير ذلك ، ولم يطلع على باب المجاز المرسل من الأبواب البلاغية التى يدرسها صغار التلاميذ ولا حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ، وظن عن جهل أن فى التراكيب انحرافا وما ذلك الا انحراف عقله .

ويذكر جولد زيهر أن فى القرآن الكريم خطأ ، بل أخطاء

نحـوية ، سببها ناسـخ غـافل نسـخ كتاب الله على خطـأ ، وكان من المنتظر المأمول أن يصلح هـذا الخطـأ الناس بألسنتهم وعقولهم ، ومثـل لذلك ـ فى زعمـه ـ بقوله تعـالى : « لـكن الراسخون فى العـلم منهـم والمؤمنون يؤمنون بمـا أنزل اليـك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكـاة والمؤمنون بالله واليـوم الآخـر أولئـك سنؤتيهم أجـرا عظيمـا » .

وذكـر هـذه الآيـة فى موضع آخـر من كتـابه ، ليؤكد زعمه ، وأردفهـا برواية عن عائشة مفادهـا أنهـا قالت : هـذا من خطـأ الكتـاب بضـم الكاف وتشـديد التـاء ، وقـد بينت أقوال العلماء فى نصـب « المقيمين » موضـع الشاهد عنده ، وذكـرت آراءهـم فى هـذه الرواية ، وخلاصتها أنهـا لا تصـح ، فمـا كـان النـاس ليغفلوا عن مثـل هـذا وهـم الذين نقـلوا كتـاب الله خلفـا عن سـلف .

وأتى ذكـر الحـديث النبوى الشريف عرضـا فى كـلام جولد زيهـر ، ليتبين أن المسلمين قـد جـاوزوا التغيـير فى النص القرآنى الى التغيـير فى نص الحـديث النبـوى ، ومثـل لذلك بقوله ـ ﷺ فى الحـديث الذى رواه البخارى وغـيره : « اشفعوا تؤجروا وليقض الله على لسـان نبيـه ما يشـاء » وقـال ان لام الأمـر فى قوله ـ ﷺ ـ : « وليقض » تفيـد أن ذلك يجب على الله ـ تعـالى ـ ولذلك غـير أهـل السـنة تلك الرواية وجـاءوا برواية أخـرى خالية من لام الأمـر ، حتى يستقيم النص وعقيدتهم التى تفيد أن الله ـ جـل وعـلا ـ لا يجب عليه شىء ، وهـذه الرواية بلفظ : « ويقضى »

من معنى غير الذى توهم ، ضاربا على ذلك أمثلة وشواهد ، مبينا أن الأمر يخرج عن معناه الحقيقى الى أغراض أخرى لا عهد للمستشرق بها .

وتعرض جولد زيهر لقراءة جر « وأرجلكم » من قوله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » وضحك ساخرا من اختلاف الفقهاء نتيجة هذه القراءة التى رآها مجرد حركة اعرابية أدت الى خلاف فقهى ، فبينت أن الخلاف الذى توهمه كلا خلاف ، حيث ان الذين تمسكوا بقراءة الجر فى وجوب مسح الرجلين بعض الشيعة ، والاجماع على غسل الرجلين وقراءة الجر انما وجهت الناس الى الاقتصاد فى غسل الرجلين وعدم الاسراف فيه ، اذ هما مظنة الاسراف .

ويرى جولد زيهر أن فى نصوص القرآن الكريم لا تليق فى حق الله — عز وجل — لذا بدا للقراء أن ينحرفوا عنها الى غيرها ، لتستقيم ، ومثل لذلك بقوله تعالى : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم » وقال : « أدرك بعضهم ما تشيره شهادة الله لنفسه لاسيما مع قرن ذكره بالملائكة وأولى العلم على أنهم شاهدون معه ، فاستعانوا على علاج ذلك بالاستعاضة عن قراءة الفعل « شهد الله » بصيغة الجمع « شهداء الله » رابطين ذلك بالسياق فى الآية السابقة .. الى أن قال : « بيد أن من أحدثوا التعديل المذكور لم يجروا مثله فى الآية (١٦٦) من سورة النساء : « لكن الله يشهد بما أنزل

اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون » فنكروها دون تغيير ؛ لصعوبة التعديل بها » .

ولاشك أنه بمثل هذا الرأى سجله فى كتابه يوهم قارئه بأن القراءة تكون عن هوى ، وأن القراء قد أصابوا فى موضع واستطاعوا ، وتركوا الأمر على علته فى موضع آخر لما عجزوا وقد بينت ذلك مفصلا فى الرد عليه .

كما فهم جولد زيهر أن المضارع فى زمن الاستقبال يفيد الجهل الآن ، وذلك لما عرضه فى قوله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلن الله الذين صدقوا وليعلن الكاذبين » ، وقال ما نصه : « تشتمل هذه الكلمات على افتراض أن الله سيعلم ذلك أو لا بعد امتحان ، كأنما لم يعلمه دون ذلك ، وكأنما ليس هو الذى قدره وقضاه » .

وقد بينته ذلك مفصلا فى الرد عليه فى هذا الموضع وفى موقفه من قراءة قوله تعالى : « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ببناء « كذبوا » للفاعل وها هو ذا البحث أقدمه ابتغاء وجه الله الذى أنزل كتابه هدى وبشرى للمؤمنين وخطوة على طريق الدراسة اللغوية البناءة التى نسهم بحق فى خدمة القرآن الكريم وأرجو رجاء كل عبد عامل ألا يضيع الله أجرى وأن ينال هذا البحث رضا من يطلع عليه ، والله حسبنا ونعم الوكيل ..

أهـم مصـادر البحـث ومراجعه

١ ـ القـرآن الكـريم .

٢ ـ الحديث النبوى الشريف مما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما والبيهقى فى سـننه والسيوطى فى الجـامع الصغير مع شرحـه للعزيزى المسمى بالسراج المنـير ، ط. الأزهرية الأولى سـنة ١٣٢٤ هـ .

٣ ـ الاتقـان فى عـلوم القـرآن للسيوطى ، ط. الحلبى .

٤ ـ أخبـار النحويين البصريين للسـيرافى بتحقيق الأستاذين طـه الزينى ومحمـد خفـاجى ، ط. مصطفى الحلبى .

٥ ـ الأعـلام للزركلى ، ط. دار العـلم للملايين ، بيروت ، السادسة سـنة ١٩٨٤ .

٦ ـ الانصاف فى مسائل الخـلاف لأبى البركات الأنبارى ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط. السعادة .

٧ ـ البرهان فى عـلوم القـرآن للزركشى بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ، ط. دار الجيـل بيروت سـنة ١٩٨٨ .

٨ ـ التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خـالد الأزهرى ، ط. عيسى الحـلبى .

٩ ـ تفسـير القـرآن العظيم للحافظ ابن كثـير ، ط. مكتبة جمهورية مصـر العربية والنهضة الاسلامية سـنة ١٩٨٠ .

١٠ــ تفسير البيضاوى بجانب عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى ، ط• المكتبة الاسلامية ــ تركيا •

١١ــ حاشية ابن المنير على كشاف الزمخشرى بجانب الكشاف . ط• الحلبى •

١٢ــ حاشية الجمل على تفسير الجلالين ، ط• عيسى الحلبى •

١٣ــ حاشية الصبان على شرح الأشمونى بجانبه ، ط• عيسى الحلبى •

١٤ــ حاشية يس على التصريح ، ط• الحلبى •

١٥ــ حجة القراءات للامام أبى زرعة بتحقيق سعيد الأفغانى ط• مؤسسة الرسالة ، بيروت •

١٦ــ ديوان الأعشى بتحقيق الدكتور محمد محمد حسين ، ط• مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية سنة ١٣٨٨ هـ •

١٧ــ سيبويه والضرورة الشعرية للدكتور ابراهيم حسن ابراهيم ، ط• حسان •

١٨ــ شرح الألفية لأبى الحسن الاشمونى ، ط• عيسى الحلبى •

١٩ــ شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصارى ، ط• مصطفى الحلبى•

٢٠ــ شرح المفصل لابن يعيش ، ط• المتنبى بالقاهرة وعالم الكتب ببيروت •

٢١ــ عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوى للشهاب الخفاجى ، ط• تركيا •

٢٢ــ غاية النهاية فى طبقات القراء لا بن الجزرى ، ط• دار الكتب العلمية ــ بيروت ، الأولى سنة ١٩٣٢ م •

٢٣ــ فرائد القلائد لبدر الدين العينى ، ط٠ الكاستلية سنة ١٢٩٧ ه

٢٤ــ الفرائد الوفية بنحو ما لم تحوه الألفية لعلى المنصورى (نحو ١٢٨) بمكتبة رفاعة بسوهاج ٠

٢٥ــ الكامل للمبرد مع رغبة الآمل للمرصفى ، ط٠ النهضة الأولى سنة ١٩٢٨ م ٠

٢٦ــ الكتاب لسيبويه بتحقيق هارون ، ط٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٢٧ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكى القيسى بتحقيق محى الدين رمضان ٠ ط٠ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ٠

٢٨ــ لسان العرب لابن منظور ، ط٠ دار المعارف ٠

٢٩ــ مذاهب التفسير الاسلامى لجولد زيهر بترجمة عبد الحليم النجار ، ط٠ الخانجى سنة ١٩٥٥ م ٠

٣٠ــ مغنى اللبيب لابن هشام بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ٠

٣١ــ المقتضب للمبرد بتحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، ط٠ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

٣٢ــ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، ط٠ التجارية ٠

٣٣ــ همع الهوامع للسيوطى ، ط٠ دار المعرفة ــ بيروت ٠